قصائد سياسية
بلا ديوان

نزار قبانى

مقدمة الناقل الإلكترونى

عندما بحثنا عن الدواوين الأربعة للشاعر الكبير نزار قبانى والمكونة للأعمال السياسية الكاملة له وهى : قصائد مغضوب عليها ، تزوجتك أيتها الحرية ، الكبريت فى يدى ودويلاتكم من ورق ، هوامش على الهوامش .. على الإنترنت. لم نجد منها سوى ديوان تزوجتك أيتها الحرية .. وأما الدواوين الثلاثة الأخرى فلم نعثر لها على أثر .. ولمعرفتنا بأسماء القصائد التى تحويها تلك الدواوين قمنا بجمعها قصيدة قصيدة لنكون تلك الدواوين .. وقد نجحنا فى ذلك بعون الله وتوفيقه .. ووضعناها على الإنترنت ولم يبق إلا قصائد سياسية مبعثرة ليست فى أى من تلك الدواوين ولكنها تندرج ضمن الأعمال السياسية الكاملة لشاعرنا الكبير .. فسوف نجمعها فى هذا الكتاب . كما أننا أضفنا أربع قصائد : المهرولون ، المتنبي وأم كلثوم على قائمة التطبيع ، اليوميات السرية لبهية المصرية ، بلقيس. لأن الأولى والثانية لم تدرج فى ديوان لنزار قط .. والثالثة ضمن ديوان ممنوع بمصر والرابعة نعتبرها سياسية لمحتواها.

لأنني لا أمسح الغبار عن أحذية القياصرة

لأنني أقاوم الطاعون في مدينتي المحاصرة

لأن شعري كله

حرب على المغول .. والتتار .. والبرابرة

يشتمني الأقزام والسماسرة ...

نزار

إيضاح إلى قراء شعري

ويقول عني الأغبياء :

إني دخلت إلى مقاصير النساء.. وما خرجت

ويطالبون بنصب مشنقتي .. لأني

عن شؤون حبيبتي .. شعراً كتبت ..

أنا لم أتاجر - مثل غيري - بالحشيش ..

ولا سرقت .. ولا قتلت ..

لكنني .. أحببت في وضح النهار ..

فهل تراني قد كفرت ؟؟

****

ويقول عني الأغبياء :

إني بأشعاري، خرجت على تعاليم السماء

من قال إن الحب عدوان على شرف السماء ؟

إن السماء صديقتي ..

تبكي إذا أبكي.. وتضحك إن ضحكت ..

وتزيد أنجمها بريقاً ..

إن أنا يوماً عشقت ..

ماذا .. إذا غنيت باسم حبيبتي ؟

وزرعتها في كل عاصمة

كغابة كستناء..؟

****

سأظل أحترف المحبة .. مثل كل الأنبياء ..

وأظل أحترف الطفولة، والبراءة، والنقاء ..

وأظل أكتب عن شؤون حبيبتي ..

حتى أذوب شعرها الذهبي ، في ذهب المساء

وأنا - وأرجو أن أظل كما أنا -

طفلاً يخربش فوق حيطان النجوم كما يشاء

حتى يصير الحب في وطني بمرتبة الهواء

وأصير قاموساً لطلاب الهوى

وأصير فوق شفاههم

ألفاً وباء ...

خبز و حشيش و قمر..

1

عندما يولدُ في الشرق القمرْ ..

فالسطوحُ البيضُ تغفو

تحت أكداس الزَهَرْ ..

يترك الناسُ الحوانيت و يمضون زُمَرْ

لملاقاةِ القمَرْ ..

يحملون الخبزَ .. و الحاكي .. إلى رأس الجبالْ

و معدات الخدَرْ ..

و يبيعونَ.. و يشرونَ.. خيالْ

و صُوَرْ ..

و يموتونَ إذا عاش القمر..

2

ما الذي يفعلهُ قرصُ ضياءْ ؟

ببلادي ..

ببلاد الأنبياءْ ..

و بلاد البسطاءْ ..

ماضغي التبغِ و تجَّار الخدَرْ ..

ما الذي يفعله فينا القمرْ ؟

فنضيع الكبرياء ..

و نعيش لنستجدي السماءْ ..

ما الذي عند السماءْ ؟

لكسالى .. ضعفاءْ ..

يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمرْ ..

و يهزّون قبور الأولياءْ ..

علَّها ترزقهم رزّاً .. و أطفالاً .. قبورُ الأولياءْ

و يمدّون السجاجيدَ الأنيقات الطُرَرْ ..

يتسلون بأفيونٍ نسميه قدَرْ ..

و قضاءْ ..

في بلادي .. في بلاد البسطاءْ ..

3

أي ضعفً و انحلالْ ..

يتولاّنا إذا الضوء تدفقْ

فالسجاجيدُ.. و آلاف السلالْ ..

و قداحُ الشاي .. و الأطفالُ .. تحتلُّ التلالْ

في بلادي

حيث يبكي الساذجونْ

و يعيشونَ على الضوء الذي لا يبصرونْ ..

في بلادي

حيث يحيا الناسُ من دونِ عيونْ ..

حيث يبكي الساذجونْ ..

و يصلونَ ..

و يزنونَ ..

و يحيونَ اتكالْ ..

منذ أن كانوا ..

يعيشونَ اتكالْ ..

و ينادون الهلال:

" يا هلالْ ..

أيُّها النبع الذي يُمطر ماسْ ..

و حشيشاً.. و نعاسْ..

أيها الرب الرخاميٌّ المعلقْ

أيها الشيءُ الذي ليس يصدَّق"..

دمتَ للشرق .. لنا ..

عنقود ماسْ ..

للملايين التي عطَّلت فيها الحواسْ .. "

4

في ليالي الشرق لمَّا..

يبلغُ البدرُ تمامُهْ..

يتعرَّى الشرقُ من كلِ كرامَهْ

و نضالِ..

فالملايينُ التي تركض من غير نعالِ ..

و التي تؤمن في أربعِ زوجاتٍ ..

و في يوم القيامَهْ ..

الملايين التي لا تلتقي بالخبزِ ..

إلا في الخيالِ ..

و التي تسكن في الليل بيوتاً من سُعالِ ..

أبداً .. ما عرفت شكلَ الدواءْ ..

تتردَّى جُثثاً تحت الضياءْ ..

في بلادي .. حيث يبكي الأغبياءْ ..

و يموتون بكاءْ ..

كلما طالعهم وجه الهلال

ويزيدون بكاءْ

كلَّما حرَّكهمْ عُودٌ ذليلٌ .. و "ليالي"

ذلك الموتُ الذي ندعوهُ في الشرقِ ..

"ليالي".. و غناءْ

في بلادي ..

في بلاد البسطاءْ ..

حيث نجترُّ التواشيح الطويلة ..

ذلكَ السلُّ الذي يفتكُ بالشرق ..

التواشيح الطويلة ..

شرقنا المجترُّ .. تاريخاً

و أحلاماً كسولة ..

و خرافاتٍ خوالي ..

شرقُنا، الباحثُ عن كلِّ بطولة ..

في أبي زيد الهلالي ..

لندن 1954

قصة راشيل شوارزنبرغ

أكتبُ للصغار ..

للعرب الصغار حيث يوجدون

لهم ،

على اختلاف اللونِ ،

والأعمار ،

والعيون

أكتبُ للذين سوف يولدون

لهم أنا أكتب ..

للصغار ..

لأعين يركض في أحداقها النهار

أكتب باختصار

قصة إرهابية مجندة

يدعونـها (راشيل)

قضت سنين الحرب في زنزانـة منفردة

شيدها الألمان في براغ

كان أبوها قذراً من أقذر اليـهود

يزور النقود

وهي تدير منزلاً للفحش في براغ

يقصده الجنود ..

*** * ***

وآلت الحرب إلى ختام

وأعلن السلام

ووقع الكبار

أربعة .. يلقبون نفسهم كبار

صك وجود الأمم المتحدة

*** * ***

... وأبحرت من شرق أوروبا

مع الصباح ...

سفينة تلعنها الرياح

وجهتها الجنوب

تغص بالجرذان، والطاعون، واليهود

كانوا خليطاً من سُقاطة الشعوب

من أرض بولندا ،

من النمسا ..

من استمبول

من براغ ..

من آخر الأرض ، من السعير

جاؤوا إلى موطننا الصغير

موطننا المسالم الصغير

فلطخوا ترابنا

وأعدموا نسائنا

ويتموا أطفالنا

ولا تزال الأمم المتحدة

ولم يزل ميثاقها الخطير

يبحث في حرية الشعوب

وحق تقرير المصير

والمثل المجردة

*** * ***

فليذكر الصغار ..

العرب الصغار حيث يوجدون

من ولدوا منهم، ومن سيولدون

قصة إرهابية مجندة

يدعونها (راشيل)

حلت محل أمي الممددة

في أرض بيارتنا الخضراء في الجليل

أمي أنا الذبيحة المستشهدة ..

وليذكر الصغار ..

حكاية الأرض التي ضيعها الكبار ..

والأمم المتحدة ..

*** * ***

أكتب للصغار

قصة بئر السبع ، واللطرون ، والخليل

هل يذكر الليمون في الرملة ،

في اللد ..

وفي الجليل

أختي التي علقها اليهود في الأصيل

من شعرها الطويل

أختي أنا نُوار

أختي أنا الهتيكة الإزار

أختي التي ما زال جرحها الطليل

ما زال بانتظار

نهار ثأر واحد ..

نهار ثار ..

على يد الصغار

جيل فدائي من الصغار

يعرف عن ثُوار

وشعرها الطويل

وقبرها الضائع في القفار

أكثر مما يعرف الكبار ..

*   *   *

أكتب للصغار

أكتب عن يافا، وعن مرفئها القديم

عن بقعة غالية الحجار

يضيء برتقالها كخيمة النجوم

تضم قبر والدي ..

وإخوتي الصغار

هل تعرفون والدي ؟

وإخوتي الصغار ؟

إذ كان في يافا لنا، حديقة ودار ..

يلفها النعيم ..

وكان والدي الرحيم

مزارعاً شيخاً يحب الشمس والتراب

والله والزيتون والكروم

كان يحب بيته ..

وزوجه ..

والشجر المثقل بالنجوم ..

*** * ***

.. وجاء أغراب مع الغياب

من شرق أوروبا ..

ومن غياهب السجون

جاؤوا كفوجٍ جائعٍ من الذئاب ..

فأتلفوا الثمار ..

وكسروا الغصون

وأشعلوا النيران في بيادر النجوم

والخمسة الأطفال في وجوم

والليل في وجوم ..

واشتعلت في والدي كرامة التراب

فصاح فيهم: إذهبوا إلى الجحيم

لن تسلبوا أرضي يا سُلالة الكلاب !!

*** * ***

ومات والدي الرحيم

بطلقة سددها كلب من الكلاب

عليه ، مات والدي العظيم

في الموطن العظيم

وكفه مشدودة شداً إلى التراب

فليذكر الصغار

العرب الصغار حيث يوجدون

من ولدوا منهم .. ومن سيولدون

ما قيمة التراب

لأن في انتظارهم معركة التراب ...

1955

رسالة جندي في جبهة السويس

الرسالة الأولى
1956/10/29

يا والدي !

هذي الحروفُ الثائرهْ

تأتي إليكَ من السويسْ

تأتي إليكَ من السويسِ الصابرهْ

إني أراها يا أبي، من خندقي، سفنُ اللصوصْ

محشودةٌ عندَ المضيقْ

هل عادَ قطّاعُ الطريقْ ؟

يتسلّقونَ جدارنا..

ويهدّدون بقاءنا ..

فبلادُ آبائي حريقْ ..

إني أراهم ..

يا أبي، زرقَ العيونْ ..

سودَ الضمائرِ ..

يا أبي، زُرقَ العيونْ

قرصانهم، عينٌ من البللورِ، جامدةُ الجفونْ

والجندُ في سطحِ السفينةِ..

يشتمونَ.. ويسكرونْ

فرغتْ براميلُ النبيذِ .. ولا يزالُ الساقطونْ ..

يتوعّدونْ ..

***

الرسالة الثانية
1956/10/30

هذي الرسالةُ، يا أبي ..

من بورسعيدْ

أمرٌ جديدْ ..

لكتيبتي الأولى ببدءِ المعركهْ

هبطَ المظليّونَ خلفَ خطوطنا ..

أمرٌ جديدْ ..

هبطوا كأرتالِ الجرادِ ..

كسربِ غربانٍ مُبيدْ ..

النصفُ بعدَ الواحدهْ ..

وعليَّ أن أُنهي الرسالهْ

أنا ذاهبٌ لمهمّتي ..

لأرُدَّ قطّاعَ الطريقِ .. وسالبي حرّيتي ..

لكَ ..

للجميعِ ..

تحيّتي ...

***

الرسالة الثالثة
1956/10/31

.. الآنَ .. أفنَينا فلولَ الهابطينْ

أبتاهُ،

لو شاهدتَهم يتساقطونْ

كثمارِ مشمشةٍ عجوزْ ..

يتساقطونْ ..

يتأرجحونْ ..

تحتَ المظلاتِ الطعينةِ

مثلَ مشنوقٍ تدلّى في سكونْ ..

وبنادقُ الشعبِ العظيمِ .. تصيدُهم

زُرقَ العيونْ

لم يبقَ فلاحٌ على محراثهِ.. إلا وجاءْ ..

لم يبقَ طفلٌ، يا أبي، إلا وجاءْ ..

لم تبقَ سكّينٌ .. ولا فأسٌ ..

ولا حجرٌ على كتفِ الطريقْ ..

إلا وجاءْ ..

ليرُدَّ قطّاعَ الطريقْ

ليخُطَّ حرفاً واحداً ..

حرفاً بمعركةِ البقاءْ ..

***

الرسالة الرابعة
1956/11/1

ماتَ الجرادْ ..

أبتاهُ، ماتتْ كلُّ أسرابِ الجرادْ

لم تبقَ سيّدةٌ ..

ولا طفلٌ ..

ولا شيخٌ قعيدْ

في الريفِ، في المدنِ الكبيرةِ،

في الصعيدْ ..

إلا وشاركَ، يا أبي

في حرقِ أسرابِ الجرادْ

في سحقهِ..

في ذبحهِ حتّى الوريدْ

هذي الرسالةُ، يا أبي، من بورسعيدْ

من حيثُ تمتزجُ البطولةُ بالجراحِ وبالحديدْ

من مصنعِ الأبطالِ، أكتبُ يا أبي ..

من بورسعيدْ ..

جميلة بوحيرد

1

الاسم : جميلةٌ بوحَيرَدْ

رقمُ الزنزانةِ : تِسعُونا

في السجن الحربيِّ بوَهران

والعمرُ : اثنانِ وعشرُونا

عينانِ كقنديلي معبَدْ

والشعرُ العربيُّ الأسوَدْ

كالصيفِ ..

كشلاَّلِ الأحزان

إبريقٌ للماءِ .. وسجّان

ويدٌ تنضمُّ على القُرآن

وامرأةٌ في ضوء الصبحِ

تسترجع في مثل البوحِ

آياتٍ مُحزنة الإرنان

من سُورةِ (مَريمَ) ..

و(الفتَحِ) ...

*

الاسمُ: جميلةُ بوحيَردْ

اسمٌ مكتوبٌ باللهَبِ ..

مغموسٌ في جُرح السُحُبِ

في أدَب بلادي. في أدَبي ..

العُمرُ اثنانِ وعشرونَا

في الصدر استوطن زوجُ حَمام

والثغرُ الراقدُ غصنُ سَلام

إمراةٌ من قُسطنطينه

لم تعرف شفتاها الزينه

لم تدخُل حجرتَها الأحلام

لم تلعبْ أبداً كالأطفالْ

لم تُغرم في عقدٍ أو شال

لم تعرف كنساءِ فرنسا

أقبيةَ اللذَّةِ في (بيغال)

*

2

الاسمُ: جميلةُ بوحَيَردْ

أجملُ أغنيةٍ في المغرب

أطولُ نَخلَهْ

لمحتها واحاتُ المغرِب

أجملُ طفلَهْ

أتعبتِ الشمسَ ولم تتعب

يا ربّي . هل تحتَ الكوكَب ؟

يوجدُ إنسانْ

يرضى أن يأكُلَ .. أن يشرَب

من لحم مُجاهِدةٍ تُصلب ..

*

3

أضواءُ (الباستيلِ) ضئيله

وسُعالُ امرأةٍ مُسلُوله ..

أكلتْ من نـهديها الأغلال

أكلَ الأنذال ..

(لاكوستُ) وآلافُ الأنذال

من جيش فرنسا المغلوبه

انتصروا الآن على أنثى ..

أنثى .. كالشمعة مصلوبه

القيد يعضُّ على القدمَين

وسجائرُ تُطفأ في النـهدين

ودمٌ في الأنفِ ..

وفي الشفتين

وجراحُ جميلةُ بوحيرد

هيَ والتحريرُ .. على موعِدِ ..

*

مقصلةٌ تنصبُ .. والأشرار

يلهونَ بأنثى دون إزار

وجميلةُ بين بنادقِهم

عصفورٌ في وسط الأمطار ..

الجسدُ الخمريَّ الأسمر

تنفضُهُ لمساتُ التيَّار

وحروقٌ في الثدي الأيسَر

في الحلمةِ ..

في .. في .. يا للعار ..

*

4

الاسمُ: جميلةُ بوحَيردَ

تاريخٌ ترويه بلادي

يحفظُهُ بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلةَ الجلاَّدِ ..

إمرأةٌ دوَّختِ الشمسا

جرحت أبعادَ الأبعادِ ..

ثائرةٌ من جبل الأطلَس

يذكرها الليلكُ والنرجس

يذكرُها .. زهرُ الكبَّاد ..

ما أصغرَ(جان داركَ) فرنسا

في جانب(جان داركَ) بلادي ..

1957

الحب والبترول

1

متى تفهمْ ؟

متى يا سيّدي تفهمْ ؟

بأنّي لستُ واحدةً ..

كغيري من صديقاتكْ

ولا فتحاً نسائيّاً يُضافُ إلى فتوحاتكْ

ولا رقماً من الأرقامِ .. يعبرُ في سجلاّتكْ

متى تفهمْ ؟

2

متى تفهمْ ؟

أيا جَمَلاً من الصحراءِ لم يُلجمْ ..

ويا مَن يأكلُ الجدريُّ منكَ الوجهَ والمعصمْ ..

بأنّي لن أكونَ هنا ..

رماداً في سجاراتكْ

ورأساً .. بينَ آلافِ الرؤوسِ على مخدّاتكْ

وتمثالاً تزيدُ عليهِ في حُمّى مزاداتكْ ..

ونهداً فوقَ مرمرهِ .. تسجّلُ شكلَ بصماتكْ ..

متى تفهمْ ؟

*

3

متى تفهمْ ؟

بأنّكَ لن تخدّرني ..

بجاهكَ أو إماراتكْ ..

ولنْ تتملّكَ الدنيا ..

بنفطكَ وامتيازاتكْ

وبالبترولِ ، يعبقُ من عباءاتكْ

وبالعرباتِ تطرحُها على قدميْ عشيقاتكْ

بلا عددٍ .. فأينَ ظهورُ ناقاتكْ ؟

وأينَ الوشمُ فوقَ يديكَ ؟

أينَ ثقوبُ خيماتكْ ؟

أيا متشقّقَ القدمينِ .. يا عبدَ انفعالاتكْ

ويا مَن صارتِ الزوجاتُ بعضاً من هواياتكْ

تكدّسهنَّ بالعشراتِ فوقَ فراشِ لذّاتكْ ..

تحنّطهنَّ كالحشراتِ ..

في جدرانِ صالاتكْ ..

متى تفهمْ ؟

*****

4

متى يا أيها المُتخمْ ؟

متى تفهمْ ؟

بأنّي لستُ مَن تهتمّ

بنارِكَ أو بجنَّاتكْ

وأن كرامتي أكرمْ ..

منَ الذهبِ المكدّسِ بين راحاتكْ

وأن مناخَ أفكاري غريبٌ عن مناخاتكْ

أيا من فرّخَ الإقطاعُ في ذرّاتِ ذرّاتكْ

ويا مَن تخجلُ الصحراءُ حتّى من مناداتكْ

متى تفهمْ ؟

*

5

تمرّغ يا أميرَ النفطِ .. فوقَ وحولِ لذّاتكْ

كممسحةٍ ..

تمرّغ في ضلالاتكْ

لكَ البترولُ.. فاعصرهُ

على قدَمي خليلاتكْ

كهوفُ الليلِ في باريسَ قد قتلتْ مروءاتكْ ..

على أقدامِ مومسةٍ هناكَ ..

دفنتَ ثاراتكْ ..

فبعتَ القدسَ ..

بعتَ اللهَ ..

بعتَ رمادَ أمواتكْ

كأنَّ حرابَ إسرائيلَ لم تُجهضْ شقيقاتكْ

ولم تهدمْ منازلنا ..

ولم تحرقْ مصاحفنا ..

ولا راياتُها ارتفعت ..

على أشلاءِ راياتكْ ..

كأنَّ جميعَ من صُلبوا ..

على الأشجارِ في يافا .. وفي حيفا ..

وبئرَ السبعِ .. ليسوا من سُلالاتكْ

تغوصُ القدسُ في دمها ،

وأنتَ صريعُ شهواتكْ

تنامُ .. كأنّما المأساةُ ليستْ بعضَ مأساتكْ

متى تفهمْ ؟

متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتكْ ؟

1958

هوامش على دفتر النكسة[1]

1

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغةَ القديمه

والكتبَ القديمه

أنعي لكم ..

كلامَنا المثقوبَ، كالأحذيةِ القديمه ..

ومفرداتِ العهرِ، والهجاءِ، والشتيمه ..

أنعي لكم ..

أنعي لكم ..

نهايةَ الفكرِ الذي قادَ إلى الهزيمه

---

[1] كتبت في أعقاب نكسة حزيران (يونيو) 1967

2

مالحةٌ في فمِنا القصائد

مالحةٌ ضفائرُ النساء

والليلُ، والأستارُ، والمقاعد

مالحةٌ أمامنا الأشياء

3

يا وطني الحزين

حوّلتَني بلحظةٍ

من شاعرٍ يكتبُ شعر الحبَّ والحنين

لشاعرٍ يكتبُ بالسكين ..

4

لأنَّ ما نحسّهُ

أكبرُ من أوراقنا ..

لا بدَّ أن نخجلَ من أشعارنا

5

إذا خسرنا الحربَ لا غرابهْ

لأننا ندخُلها ..

بكلِّ ما يملكُه الشرقيُّ من مواهبِ الخطابهْ

بالعنترياتِ التي ما قتلت ذبابهْ

لأننا ندخلها ..

بمنطقِ الطبلةِ والربابهْ

6

السرُّ في مأساتنا

صراخنا أضخمُ من أصواتنا

وسيفُنا ..

أطولُ من قاماتنا ..

7

خلاصةُ القضيّهْ

توجزُ في عبارهْ

لقد لبسنا قشرةَ الحضارهْ

والروحُ جاهليّهْ ...

8

بالنّايِ والمزمار ..

لا يحدثُ انتصار ...

9

كلّفَنا ارتجالُنا

خمسينَ ألفَ خيمةٍ جديدهْ ..

10

لا تلعنوا السماءْ

إذا تخلّت عنكمُ ..

لا تلعنوا الظروفْ

فالله يؤتي النصرَ من يشاءْ

وليس حدّاداً لديكم ..

يصنعُ السيوفْ ..

11

يوجعُني أن أسمعَ الأنباءَ في الصباحْ

يوجعُني ..

أن أسمعَ النُّباحْ ..

12

ما دخلَ اليهودُ من حدودِنا

وإنما ..

تسرّبوا كالنملِ .. من عيوبنا

13

خمسةُ آلافِ سنهْ ..

ونحنُ في السردابْ

ذقوننا طويلةٌ

نقودنا مجهولةٌ

عيوننا مرافئُ الذبابْ ..

يا أصدقائي :

جرّبوا أن تكسروا الأبوابْ

أن تغسلوا أفكاركم،

وتغسلوا الأثوابْ

يا أصدقائي :

جرّبوا أن تقرؤوا كتابْ..

أن تكتبوا كتابْ ..

أن تزرعوا الحروفَ ..

والرُّمانَ..

والأعنابْ ..

أن تبحروا إلى بلادِ الثلجِ والضبابْ

فالناسُ يجهلونكم ..

في خارجِ السردابْ

الناسُ يحسبونكم

نوعاً من الذئابْ ...

14

جلودُنا ميتةُ الإحساسْ

أرواحُنا تشكو منَ الإفلاسْ

أيامنا تدورُ بين الزارِ ..

والشطرنجِ ..

والنعاسْ ..

هل نحنُ "خيرُ أمةٍ قد أخرجت للناسْ" ؟؟

15

كانَ بوسعِ نفطنا الدافقِ بالصحاري

أن يستحيلَ خنجراً ..

من لهبٍ ونارِ ..

لكنهُ ..

واخجلةَ الأشرافِ من قريشٍ

وخجلةَ الأحرارِ من أوسٍ ومن نزارِ

يراقُ تحتَ أرجلِ الجواري ...

16

نركضُ في الشوارع

نحملُ تحتَ إبطنا الحبالا ..

نمارسُ السَحْلَ بلا تبصُّرٍ

نحطّمُ الزجاجَ والأقفالا ..

نمدحُ كالضفادعِ

نشتمُ كالضفادعِ

نجعلُ من أقزامنا أبطالا ..

نجعلُ من أشرافنا أنذالا ..

نرتجلُ البطولةَ ارتجالا ..

نقعدُ في الجوامعِ ..

تنابلاً .. كُسالى

نشطرُ الأبياتَ، أو نؤلّفُ الأمثالا ..

ونشحذُ النصرَ على عدوِّنا ..

من عندهِ تعالى ...

17

لو أحدٌ يمنحني الأمانْ ..

لو كنتُ أستطيعُ أن أقابلَ السلطانْ

قلتُ لهُ :

يا سيّدي السلطانْ

كلابكَ المفترساتُ مزّقت ردائي

ومخبروكَ دائماً ورائي ..

عيونهم ورائي ..

أنوفهم ورائي ..

أقدامهم ورائي ..

كالقدرِ المحتومِ، كالقضاءِ

يستجوبونَ زوجتي

ويكتبونَ عندهم ..

أسماءَ أصدقائي ..

يا حضرةَ السلطانْ

لأنني اقتربتُ من أسواركَ الصمَّاءِ ..

لأنني ..

حاولتُ أن أكشفَ عن حزني .. وعن بلائي

ضُربتُ بالحذاءِ ..

أرغمني جندُكَ أن آكُلَ من حذائي ..

يا سيّدي ..

يا سيّدي السلطانْ

لقد خسرتَ الحربَ مرتينْ

لأنَّ نصفَ شعبنا .. ليسَ لهُ لسانْ

ما قيمةُ الشعبِ الذي ليسَ لهُ لسانْ ؟

لأنَّ نصفَ شعبنا ..

محاصرٌ كالنملِ والجرذانْ ..

في داخلِ الجدرانْ ..

لو أحدٌ يمنحُني الأمانْ

من عسكرِ السلطانْ ..

قُلتُ لهُ: يا حضرة السلطان

لقد خسرتَ الحربَ مرتينْ ..

لأنكَ انفصلتَ عن قضيةِ الإنسانْ ..

18

لو أننا لم ندفنِ الوحدةَ في الترابْ

لو لم نمزّقْ جسمَها الطّريَّ بالحرابْ

لو بقيتْ في داخلِ العيونِ والأهدابْ

لما استباحتْ لحمَنا الكلابْ ..

19

نريدُ جيلاً غاضباً ..

نريدُ جيلاً يفلحُ الآفاقْ

وينكشُ التاريخَ من جذورهِ ..

وينكشُ الفكرَ من الأعماقْ

نريدُ جيلاً قادماً ..

مختلفَ الملامحْ ..

لا يغفرُ الأخطاءَ .. لا يسامحْ ..

لا ينحني ..

لا يعرفُ النفاقْ ..

نريدُ جيلاً ..

رائداً ..

عملاقْ ..

20

يا أيُّها الأطفالْ ..

من المحيطِ للخليجِ، أنتمُ سنابلُ الآمالْ

وأنتمُ الجيلُ الذي سيكسرُ الأغلالْ

ويقتلُ الأفيونَ في رؤوسنا ..

ويقتلُ الخيالْ ..

يا أيُها الأطفالُ :

أنتمْ ـ بعدُ ـ طيّبونْ

وطاهرونَ، كالندى والثلجِ، طاهرونْ

لا تقرؤوا عن جيلنا المهزومِ ، يا أطفالْ

فنحنُ خائبونْ ..

ونحنُ، مثلَ قشرةِ البطيخِ، تافهونْ

ونحنُ منخورونَ ..

منخورونَ ..

منخورون كالنعالْ ..

لا تقرؤوا أخبارَنا

لا تقتفوا آثارنا

لا تقبلوا أفكارنا

فنحنُ جيلُ القيءِ، والزُّهريِّ، والسعالْ

ونحنُ جيلُ الدجْلِ، والرقصِ على الحبالْ

يا أيها الأطفالْ :

يا مطرَ الربيعِ .. يا سنابلَ الآمالْ

أنتمْ بذورُ الخصبِ في حياتنا العقيمهْ

وأنتمُ الجيلُ الذي سيهزمُ الهزيمهْ ....

1967

الممثلون

1

حين يصيرُ الفكرُ في مدينةٍ

مُسَطَّحاً كحدوةِ الحصانْ ..

مُدوَّراً كحدوةِ الحصانْ ..

وتستطيعُ أيُّ بندقيّةٍ يرفعُها جَبانْ

أن تسحقَ الإنسانْ

حينَ تصيرُ بلدةٌ بأسرِها ..

مصيدةً .. والناسُ كالفئرانْ

وتصبحُ الجرائد الموَجَّههْ ..

أوراقَ نعيٍ تملأُ الحيطانْ

يموتُ كلُّ شيءْ ..

يموتُ كلُّ شيءْ ..

الماءُ ، والنباتُ ، والأصواتُ ، والألوانْ

تُهاجِرُ الأشجارُ من جذورِها

يهربُ من مكانِه المكانْ

وينتهي الإنسانْ

2

حينَ يصيرُ الحرفُ في مدينةٍ

حشيشةً يمنعُها القانونْ

ويصبحُ التفكيرُ

كالبغاءِ ،

واللّواطِ ،

والأفيونْ ..

جريمةٌ يطالُها القانونْ ..

حينَ يصيرُ الناسُ في مدينةٍ

ضفادعاً مفقوءةَ العيونْ

فلا يثورونَ ولا يشكونْ

ولا يغنّونَ ولا يبكونْ

ولا يموتونَ ولا يحيونْ

تحترقُ الغاباتُ ، والأطفالُ ، والأزهارْ

تحترقُ الثمارْ

ويصبحُ الإنسانُ في موطنِه

أذلَّ من صرصارْ ..

3

حينَ يصيرُ العدلُ في مدينـةٍ

سفينـةً يركبُـها قُرصانْ

ويصبحُ الإنسانُ في سريرِه

محاصَراً بالخوفِ والأحزانْ

حينَ يصيرُ الدمعُ في مدينـةٍ

أكبرَ من مساحةِ الأجفانْ

يسقطُ كلُّ شيءْ

الشمسُ ،

والنجومُ ،

والجبالُ ،

والوديانْ

والليلُ ، والنـهارُ ، والبحـارُ ، والشطآنْ

واللهُ ..

والإنسانْ ..

4

حينَ تصيرُ خوذةٌ ..

كالربِّ في السّماءْ

تصنعُ بالعبادِ ما تشاءْ

تمعسُهمْ ..

تهرسُهمْ ..

تميتُهمْ ..

تبعثُهمْ ..

تصنعُ بالعبادِ ما تشاءْ

حينَ يصيرُ الحكمُ في مدينـةٍ

نوعاً من البغاءْ

ويصيرُ التاريخُ في مدينـةٍ ..

مِمسَحَةً .. والفكرُ كالحذاءْ

حينَ تصيرُ نسمةُ الهواءْ

تأتي بمرسومٍ من السلطانْ

وحبّةُ القمحِ التي نأكلُها ..

تأتي بمرسومٍ من السلطانْ

وقطرةُ الماءِ التي نشربُها

تأتي بمرسومٍ من السلطانْ

حينَ تصيرُ أمّةٌ بأسرِها

ماشيةً تعلفُ في زريبةِ السلطانْ

يختنقُ الأطفالُ في أرحامِهمْ

وتُجهَضُ النساءْ ..

وتسقطُ الشمسُ على ساحاتِنا ..

مشنقةً سوداءْ ..

5

متى سترحلونْ ؟

المسرحُ انهارَ على رؤوسِكمْ ..

متى سترحلونْ ؟

والناسُ في القاعةِ يشتمونَ .. يبصقونْ ..

كانتْ فلسطينُ لكمْ ..

دجاجةً من بيضِها الثمينِ تأكلونْ ..

كانتْ فلسطينُ لكمْ ..

قميصَ عثمانَ الذي بهِ تُتاجِرونْ

طوبى لكمْ ..

على يديكمْ أصبحتْ حدودُنا

من ورَقِ ...

فألفُ تُشكَرونْ ..

على يديكمْ أصبحتْ بلادُنا

امرأةً مباحةً ..

فألفُ تُشكَرونْ ..

6

حربُ حُزيرانَ انتهتْ ..

فكلُّ حربٍ بعدَها ، ونحنُ طيّبونْ ..

أخبارُنا جيّدةٌ

وحالُنا ـ والحمدُ للهِ ـ على أحسنِ ما يكونْ

جمرُ النراجيلِ ، على أحسنِ ما يكونْ

وطاولاتُ الزّهرِ .. ما زالتْ

على أحسنِ ما يكونْ

والقمرُ المزروعُ في سمائِنا

مدَوَّرُ الوجهِ على أحسنِ ما يكونْ

وصوتُ فيروزَ ،

من الفردوسِ يأتي :

" نحنُ راجعونْ " ..

تغَلْغَلَ اليهودُ في ثيابنا ،

و " نحنُ راجِعونْ " ..

صاروا على مِترَينْ من أبوابنا ،

و " نحنُ راجِعونْ " ..

ناموا على فراشِنا ،

و "نحنُ راجِعونْ " ..

وكلُّ ما نملكُ أن نقولَهُ :

" إنّا إلى اللهِ لَراجعونْ " ...

7

حربُ حزيرانَ انتهتْ ..

وحالُنا ـ والحمدُ للهِ ـ على أحسنِ ما يكونْ

كُتّابُنا على رصيفِ الفكرِ عاطلونْ

من مطبخِ السلطانِ يأكلونْ

بسيفهِ الطويلِ يضربونْ

كُتّابُنا ما مارسوا التفكيرَ من قرونْ

لم يُقتَلوا ..

لم يُصلَبوا ..

لم يقِفوا على حدودِ الموتِ والجنونْ

كُتّابُنا يحيونَ في إجازةٍ ..

وخارجَ التاريخِ .. يسكنونْ ..

حربُ حزيرانَ انتهتْ

جرائدُ الصباحِ ما تغيّرتْ

الأحرفُ الكبيرةُ الحمراءُ .. ما تغيّرتْ

الصورُ العاريةُ النكراءُ .. ما تغيّرتْ

والناسُ يلهثونْ ..

تحتَ سياطِ الجنسِ يلهثونْ

تحتَ سياطِ الأحرفِ الكبيرةِ الحمراءِ .. يسقطونْ

الناسُ كالثيرانِ في بلادِنا ،

بالأحمرِ الفاقعِ يُؤخَذونْ ...

8

حربُ حزيرانَ انتهتْ ...

وضاعَ كلٌّ شيءْ ..

الشّرفُ الرّفيعُ ،

والقلاعُ ، والحصونْ

والمالُ والبنونْ ..

لكنّنا ..

باقونَ في محطّةِ الإذاعهْ ..

" فاطمةٌ تُهدي إلى والدِها سلامَها .. "

" وخالدٌ يسألُ عن أعمامِه في غَزَّةَ ..

وأينَ يقطنونْ ؟ "

" نفيسةٌ قد وضعتْ مولودَها .. "

" وسامرٌ حازَ على شهادةِ الكفاءهْ .. "

" فطمئنونا عنكُمُ ..

" عنوانُنا المخيّمُ التسعونْ .. "

9

حربُ حزيرانَ انتهتْ ..

كأنَّ شيئاً لم يكنْ ..

لم تختلفْ أمامَنا الوجوهُ والعيونْ

محاكمُ التفتيشِ عادتْ .. والمفتّشونْ

والدونكشوتيّونَ .. ما زالوا يُشَخِّصونْ

والناسُ من صعوبةِ البُكاءِ ..

يضحكونْ ..

ونحنُ قانِعونْ ..

بالحربِ قانعونْ .. والسلمِ قانعونْ

بالحرِّ قانعونْ .. والبردِ قانعونْ

بالعقمِ قانعونْ .. والنسلِ قانعونْ

بكلِّ ما في لوحِنا المحفوظِ في السماءِ ..

قانعونْ ..

وكل ما نملكُ أن نقولَهُ :

" إنّا إلى اللهِ لَراجعونْ " ...

10

إحترقَ المسرحُ مِن أركانِهِ

ولم يَمُتْ ـ بعدُ ـ الممثّلونْ ..

1968

الاستجواب

1

مَنْ قتَلَ الإمامْ ؟

المُخبرونَ يملأونَ غرفتي

مَن قتلَ الإمامْ ؟

أحذيةُ الجنودِ فوقَ رقبتي

مَنْ قتلَ الإمامْ ؟

مَن طعنَ الدرويشَ صاحبَ الطريقهْ ؟

ومزّقَ الجُبَّةَ ،

والكشكولَ ،

والمِسبَحَةَ الأنيقهْ ؟

يا سادَتي :

لا تقلعوا أظافري ..

بحثاً عن الحقيقهْ ..

في جثةِ القتيلِ ، دوماً ، تسكنُ الحقيقهْ .

2

مَن قتلَ الإمامْ ؟

عساكرٌ بكاملِ السّلاحِ يدخلونْ ..

عساكرٌ بكاملِ السّلاحِ يخرجونْ

محاضِرٌ ..

آلاتُ تسجيلِ ..

مصوّرونْ ..

يا سادَتي :

ما النفعُ من إفادَتي ؟

ما دمتُمْ ..

ـ إن قلتُ أو ما قلتْ ـ

سوفَ تكتبونْ ..

ما تنفعُ استغاثتي ؟

ما دمتمْ ..

ـ إن قلتُ وإن ما قلتُ ـ

سوفَ تضربونْ ..

ما دمتمْ منذُ حكمتُمْ بلدي ..

عنّي تُفَكّرونْ !!! ..

3

لستُ شيوعيّاً ..

ـ كما قيلَ لكمْ ـ يا سادَتي الكِرامْ

ولا يمينيّاً ..

ـ كما قيلَ لكمْ ـ يا سادَتي الكِرامْ

مسقطُ رأسي في دمشقَ الشامْ ..

هل واحدٌ من بينكمْ

يعرفُ أينَ الشامْ ؟

هل واحدٌ من بينكم

أدمنَ سُكنى الشامْ ؟

رَواهُ ماءُ الشامْ ..

كَواهُ عِشقُ الشامْ ..

تأكّدوا يا سادتي

لن تجدوا في كلِّ أسواقِ الورودِ ، وردةً كالشامْ

وفي دكاكينِ الحِلى جميعِها ..

لؤلؤةً كالشامْ

لن تجدوا ..

مدينةً حزينةَ العينينِ مثلَ الشامْ ..

4

لستُ عميلاً قذراً ...

ـ كما يقولُ مخبروكمْ ـ يا سادتي الكرامْ

ولا سرقتُ قمحةً ،

ولا قتلتُ نملةً ..

ولا دخلتُ مركزَ البوليسِ يوماً ..

سادتي الكرامْ ..

يعرفُني في حارتي الصغيرُ والكبيرْ

يعرفُني الأطفالُ ، والأشجارُ ، والحَمامْ ..

وأنبياءُ اللهِ يعرفونني

عليهمْ الصلاةُ والسلامْ

الصلواتُ الخمسُ .. لا أقطعُها

يا سادتي الكرامْ ..

وخطبةُ الجمعةِ لا تفوتُني ..

يا سادتي الكرامْ ..

من ربعِ قرنٍ وأنا ..

أمارسُ الركوعَ والسجودْ

أمارسُ القيامَ والقعودْ

أمارسُ التشخيصَ خلفَ حضرةِ الإمامْ

يقولُ : (اللـهمَّ إمحقْ دولـةَ اليـهودْ)

أقولُ : (اللـهمَّ إمحقْ دولـةَ اليـهودْ)

يقولُ : (اللـهمَّ شتّتْ شملَـهمْ)

أقولُ : (اللـهمَّ شتّتْ شملَـهمْ)

يقولُ : (اللـهمَّ إقطعْ نَسلَـهُمْ)

أقولُ : (اللـهمَّ إقطعْ نسلـهُمْ)

يقولُ : (أغرقْ حرثـهم وزرعَهمْ)

أقولُ : (أغرقْ حرثـهمْ وزرعَهمْ)

وهكذا .. يا سادتـي الكرامْ

قضيتُ عشرينَ سنـهْ ..

أعيشُ في حظيرةِ الأغنـامْ

أعلفُ كالأغنـامْ

أنـامُ كـالأغنـامْ

أبولُ كالأغنـامْ

أدورُ كحبّةٍ في مسبحـةِ الإمامْ

لا عقلَ لي ..

لا رأسَ ..

لا أقدامْ ..

أستنشقُ الزكامَ من لحيتِه ..

والسُّلَّ في العظامْ ..

قضيتُ عشرينَ سنـهْ

مُكَوَّماً كرزمةِ القشِّ على السجّادةِ الحمراءْ ..

أُجلَدُ كلَّ جمعةٍ بخطبةٍ غرّاءْ

أبتلعُ البيانَ ،

والبديعَ ،

والقصائدَ العصماءْ ..

أبتلعُ الهُراءْ ..

عشرينَ عاماً .. وأنا يا سادتي

أسكنُ في طاحونةٍ

ما طحنتْ قطُّ سوى الهواءْ ..

5

يا سادتي :

بخنجَري هذا الذي تَرَوْنَهُ

طعنتُهُ في صدرِه والرقبهْ

طعنتُه في عقلهِ المنخورِ مثلَ الخشبهْ

طعنتُه باسمي أنـا ..

واسمِ الملايينِ من الأغنـامْ

يا سادتـي : أعرفُ أنَّ تُهمَتـي ..

عقابُها الإعدامْ ..

لكنّنـي ..

قتلتُ إذ قتلتُهُ

كلَّ الصراصيرِ التي تنشدُ في الظلامْ

والمستريحينَ على أرصفةِ الأحلامْ

قتلتُ إذّ قتلتُهُ ..

كلَّ الطفيليّاتِ في حديقةِ الإسلامْ

كلَّ الذينَ يطلبونَ الرزقَ من دُكّانـةِ الإسلامْ

قتلتُ إذّ قتلتُهُ ،

يا سادتي الكرامْ

كلَّ الذينَ منذُ ألفِ عامْ ..

يَزْنُونَ بالكلامْ ...

1968

فتح [2]

1

... وبعدما قتلنا ..

وبعدما صلوا علينا

وبعدما دفنا ..

وبعد أن تكلست عظامنا

وبعد أن تخشبت أقدامنا

وبعدما اهترأنا ..

وبعد أن جعنا وأن عطشنا

وبعدما أن تبنا وأن كفرنا ..

وبعدما .. بعدما ..

[2] هذه القصيدة في حركة فتح قبل أن تنخرط في فضيحة أوسلو بتشجيع من طاغية القاهرة حسني مبارك الخائن ومعه خائن الأردن الهالك حسين وخائن المغرب الهالك الحسن الثانى وخائن السعودية الهالك فهد وقبل أن تصبح سلطة عميلة في رام الله .

من يأسنا يئسنا ..

جاءت إلينا فتح

كوردة جميلة طالعة من جرح ..

كنبع ماء صافي يروي صحارى ملح

وفجأة .. ثرنا على أكفاننا وقمنا ..

وفجأة

كالسيد المسيح .. بعد موتنا نهضنا ..

2

مهما هم تأخروا فإنهم يأتون

في حبة الحنطة ..

أو في حبة الزيتون ..

يأتون في الأشجار ، والرياح ، والغصون

يأتون في كلامنا ..

يأتون في أصواتنا ..

يأتون في دموع أمهاتنا

في أعين الغالين من أمواتنا ..

مهما هم تأخروا .. فإنهم يأتون

من درب رام الله ، أو من جبل الزيتون

يأتون مثل المن والسلوى .. من السماء

ومن دمى الأطفال .. من أساور النساء

ويسكنون الليل .. والأحجار .. والأشياء

من حزننا الجميل ينبتون

أشجار كبرياء

ومن شقوق الصخر يولدون

باقة أنبياء

ليس لهم هوية .. ليس لهم أسماء

لكنهم يأتون ..

لكنهم يأتون ..

3

يا فتح يا شاطئنا من بعد ما فقدنا ..

يا شمس نصف الليل لاحت ..

بعدما ضجرنا ..

يا رعشة الربيع فينا ..

بعدما يبسنا ..

حين قرأنا عنكم كل الذي قرأنا ..

خمسين قرنا بكم كبرنا ..

وارتفعت قاماتنا

وأزهرت حياتنا

من بعدما نشفنا ..

يا فتح يا حصاننا الجميلا

يحمل في غرته بيسان والجليلا

وغزة ، والقدس ، والطيور ، والحقولا

ويحمل البحار في نظرته ،

ويحمل السهولا

يا ماءنا .. يا ثلجنا .. يا ظلنا الظليلا ..

يا طفلنا الذي انتظرنا وجهه طويلا

يا فتح نحن مكة

ننتظر الرسولا ..

4

يا فتح شاب الدمع في عيوننا

ولم يزل خنجر إسرائيل في ظهورنا

ولم نزل نبحث في الظلام عن قبورنا

ولم نزل كالأمس أغبياء

نردد الخرافة البلهاء

(الصبر مفتاح الفرج)

ولم نزل نظن أن الله في السماء

يعيدنا لدورنا ..

ولم نزل نظن أن النصر ..

وليمة تأتي لنا .. ونحن في سريرنا ..

ولم نزل نقعد من سنين

على رصيف الأمم المتحدة

نشحذ من لجانها الحليب .. والطحين ..

والذل .. والسردين .. والملابس المستعملة ..

ولم نزل نمضغ ساذجين

حكمتنا المفضلة :

(الصبر مفتاح الفرج)

إن الرصاص وحده

لا الصبر مفتاح الفرج

5

يا ربنا :

نرفض أن نكون بعد اليوم طيبين

فالطيبون كلهم أنصاف ميتين

هم سرقوا بلادنا ..

هم قتلوا أولادنا

فاسمح لنا ، يا ربنا ،

نكون قاتلين ..

يا ثأرنا ..

نرفض أن نكون كالخراف وادعين

يا طبلنا ..

يا زارنا ..

يا قاتنا [3]..

نرفض أن نظل مسطولين .. دائخين

يا شعرنا كن غاضبا ..

يا نثرنا كن غاضبا ..

يا عقلنا كن غاضبا ..

فعصرنا الذي نعيش عصر غاضبين

يا حقدنا .. كن حارقاً

كي لا نصير كلنا قطيع لاجئين ..

[3] القات : نبات مخدر يمضغه اليمنيون .

شعراء الأرض المحتلة

1

شعراءَ الأرضِ المحتلّهْ

يا مَن أوراقُ دفاترِكمْ

بالدمعِ مغمّسةٌ، والطينْ

يا مَن نبراتُ حناجرِكمْ

تشبهُ حشرجةَ المشنوقينْ

يا مَن ألوانُ محابرِكمْ

تبدو كرقابِ المذبوحينْ

نتعلّمُ منكم منذُ سنينْ

نحنُ الشعراءَ المهزومينْ

نحنُ الغرباءَ عن التاريخِ،

وعن أحزانِ المحزونينْ

نتعلّمُ منكمْ ..

كيفَ الحرفُ يكونُ له شكلُ السكّينْ .

2

شعراءَ الأرضِ المحتلّهْ

يا أجملَ طيرٍ يأتينا من ليلِ الأسرْ

يا حزناً شفّافَ العينين ،

نقيّاً مثلَ صلاةِ الفجرْ

يا شجرَ الوردِ النابتِ من أحشاءِ الجمرْ

يا مطراً يسقطُ .. رغمَ الظلمِ ، ورغمَ القهرْ

نتعلّمُ منكم ..

كيف يغنّي الغارقُ من أعماق البئرْ

نتعلّمُ .. كيفَ يسيرُ على قدميهِ القبرْ

نتعلّمُ كيفَ يكونُ الشعرْ ..

فلدينا .. قد ماتَ الشعراءُ ، وماتَ الشعرْ ..

الشعرُ لدينا درويشٌ ..

يترنّحُ في حلقاتِ الذكرْ

والشاعرُ يعملُ حوذياً لأميرِ القصرْ ..

الشاعرُ مخصيُّ الشفتينِ .. بهذا العصرْ

يمسحُ للحاكمِ معطفهُ ،

ويصبُّ لهُ أقداحَ الخمرْ

الشاعرُ مخصيُّ الكلماتِ ..

وما أشقى خصيانَ الفكرْ ...

3

شعراءَ الأرضِ المحتلّهْ ..

يا ضوءَ الشمسِ الهاربَ من ثقبِ الأبوابْ

يا قرعَ الطبلِ القادمَ من أعماقِ الغابْ ..

يا كلَّ الأسماءِ المحفورةِ في ريشِ الأهدابْ

ماذا نخبركم يا أحبابْ ؟

عن أدبِ النكسةِ ،

شعرِ النكسةِ ،

فكر النكسة ،

يا أحبابْ ..

ما زلنا منذُ حزيران .. نحنُ الكُتّابْ

نتمطّى فوقَ وسائدنا ..

نلهو بالصرفِ وبالإعرابْ

يطأُ الإرهابُ جماجمَنا

ونقبِّلُ أقدامَ الإرهابْ

نركبُ أحصنةً من خشبٍ

ونقاتلُ أشباحاً ..

وسرابْ ..

ونُنادي :

يا ربَّ الأربابْ

نحنُ الضعفاءُ ، وأنتَ المنتصرُ الغلاّبْ

نحنُ الفقراءُ ، وأنتَ الرزّاقُ الوهّابْ

نحنُ الجبناءُ ، وأنتَ الغفّارُ التوّابْ

شعراءَ الأرضِ المحتلّهْ ..

ما عادَ لأعصابي أعصابْ

حُرماتُ القدسِ قد انتُهكَتْ

وصلاحُ الدينِ من الأسلابْ

و ابنـة دايانَ كمومسةٍ ..

تتعهر في ظل المحراب

ونسمّي أنفسنا كُتّابْ ؟؟

4

محمودَ الدرويش .. سلاما

توفيقَ الزيّاد .. سلاما

يا فدوى طوقان .. سلاما

يا مَن تبرونَ على الأضلاعِ الأقلاما ..

نتعلّمُ منكم ،

كيفَ نفجّرُ في الكلماتِ الألغاما ..

شعراءَ الأرضِ المحتلّهْ ..

ما زالَ دراويشُ الكلمهْ

في الشرقِ ، يكشُّونَ حَمَاما [4]..

يحسونَ الشايَ الأخضرَ .. يجترّونَ الأحلاما ..

لو أنَّ الشعراءَ لدينا ..

يقفونَ أمامَ قصائدكمْ ..

لَبَدَوْا .. أقزاماً .. أقزاما ..

---

[4] **يكش حمام أي يطرد أو يربي حماما .. ويسمي مربي الحمام كشاش حمام ويعتبرونه كذابا ولا تقبل له شهادة. يطلق الناس على مربي الحمام اسم كشاش حمام ، بينما يفضل مربوه تسمية حميماتي. لا يخفى أن المجتمع ينظر إلى الحميماتي نظرة خاصة ، ولاسيما في مدينة دمشق ، حيث يرفضون طلب زواجه إذا اشتهر أمره ، وقد يؤثر الأمر على شقيقاته ، فيتردد بعضهم في خطبة شقيقات الحميماتي .**

أكثر من ذلك لا يقبل القاضي شهادة الحميماتي مع أنه لا يوجد نص قانوني يمنع شهادته ، لكن رد شهادة الحميماتي مسألة قديمة ، ويقال إن سبب رد شهادته أخذ حق غيره في حالة لجوء طير إليه وعدم رده إلى صاحبه ويحلف أحيانا أيمانا كاذبة .

1968

القدس

بكيت.. حتى انتهت الدموع

صليت.. حتى ذابت الشموع

ركعت.. حتى ملني الركوع

سألت عن محمد،

فيك وعن يسوع

يا قدس، يا مدينة تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

* * *

يا قدس، يا منارة الشرائع

يا طفلةً جميلةً محروقة الأصابع

حزينةٌ عيناك، يا مدينة البتول

يا واحةً ظليلةً مر بها الرسول

حزينةٌ حجارة الشوارع

حزينةٌ مآذن الجوامع

يا قدس، يا جميلةً تلتف بالسواد

من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة ؟

صبيحة الآحاد..

من يحمل الألعاب للأولاد ؟

في ليلة الميلاد ..

*** * ***

يا قدس، يا مدينة الأحزان

يا دمعةً كبيرةً تجول في الأجفان

من يوقف العدوان ؟

عليك، يا لؤلؤة الأديان

من يغسل الدماء عن حجارة الجدران ؟

من ينقذ الإنجيل ؟

من ينقذ القرآن ؟

من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح ؟

من ينقذ الإنسان ؟

يا قدس .. يا مدينتي

يا قدس .. يا حبيبتي

غداً .. غداً .. سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والزيتون

وتضحك العيون ..

وترجع الحمائم المهاجرة ..

إلى السقوف الطاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رباك الزاهرة ..

يا بلدي ..

يا بلد السلام والزيتون ..

منشورات فدائية على جدران إسرائيل

1

لن تجعلوا من شعبنا

شعبَ هنودٍ حُمرْ ..

فنحنُ باقونَ هنا ..

في هذه الأرضِ التي تلبسُ في معصمها

إسوارةً من زهرْ ..

فهذهِ بلادُنا ..

فيها وُجدنا منذُ فجرِ العُمرْ

فيها لعبنا، وعشقنا،

وكتبنا الشعرْ ..

مشرِّشونَ نحنُ في خُلجانـها

مثلَ حشيشِ البحرْ ..

مشرِّشونَ[5] نحنُ في تاريخـها

في خُبزها المرقوق، في زيتونِـها

في قمحِها المُصفرّ ..

مشرِّشونَ نحنُ في وجدانِـها

باقونَ في آذارها ..

باقونَ في نيسانِـها ..

باقونَ كالحفرِ على صُلبانِـها

باقونَ في نبيّها الكريمِ، في قُرآنـها ..

وفي الوصايا العشرْ ..

---

[5] مشرش باللهجة الأردنية معناها خبير وربما بمعنى عميق ومتمكن ومتغلغل وباقٍ ومتأصل وثابت وراسخ. فيقال تاريخ مشرش للساس .. والزيتون مشرش في الأرض .. والحب مشرش في نفسي.

2

لا تسكروا بالنصرْ ...

إذا قتلتُم خالداً ..

فسوفَ يأتي عمرْو

وإن سحقتُم وردةً ..

فسوفَ يبقى العِطرْ ..

3

لأنَّ موسى قُطّعتْ يداهْ ..

ولم يعُدْ يتقنُ فنَّ السحرْ ..

لأنَّ موسى كُسرتْ عصاهْ

ولم يعُدْ بوسعهِ

شقَّ مياهِ البحرْ

لأنكمْ لستمْ كأمريكا ..

ولسنا كالهنودِ الحمرْ

فسوفَ تهلكونَ عن آخركمْ

فوقَ صحاري مصرْ ...

4

المسجدُ الأقصى شهيدٌ جديدْ

نُضيفهُ إلى الحسابِ العتيقْ

وليستِ النارُ، وليسَ الحريقْ

5

من قصبِ الغاباتْ

نخرجُ كالجنِّ لكمْ ..

من قصبِ الغاباتْ

من رُزمِ البريدِ، من مقاعدِ الباصاتْ

من عُلبِ الدخانِ، من صفائحِ البنزينِ،

من شواهدِ الأمواتْ

من الطباشيرِ، من الألواحِ، من ضفائرِ البناتْ ..

من خشبِ الصُّلبانِ، ومن أوعيةِ البخّورِ،

من أغطيةِ الصلاةْ ..

من ورقِ المصحفِ نـأتيكمْ

من السطورِ والآياتْ...

لن تفلتوا من يدنـا ..

فنـحنُ مبثوثونَ في الريحِ، وفي الماءِ، وفي النباتْ

ونـحنُ معجونونَ بالألوانِ والأصواتْ..

لن تُفلتوا.. لن تُفلتوا..

فكلُّ بيتٍ فيـهِ بندقيهْ

من ضفّةِ النيلِ إلى الفراتْ ..

6

لن تستريحوا معنـا ..

كلُّ قتيلٍ عندنـا

يموتُ آلافاً من المراتْ ...

7

إنتبهوا ..

إنتبهوا ...

أعمدةُ النورِ لها أظافرْ

وللشبابيكِ عيونٌ عشرْ

والموتُ في انتظاركم

في كلِّ وجهٍ عابرٍ... أو لفتةٍ.. أو خصرْ

الموتُ مخبوءٌ لكم ..

في مشطِ كلِّ امرأةٍ ..

وخصلةٍ من شعرْ ..

8

يا آلَ إسرائيلَ .. لا يأخذْكم الغرورْ

عقاربُ الساعاتِ إن توقفتْ،

لا بدَّ أن تدورْ ..

إنَّ اغتصابَ الأرضِ لا يُخيفنا

فالريشُ قد يسقطُ عن أجنحةِ النسورْ

والعطشُ الطويلُ لا يخيفنا

فالماءُ يبقى دائماً في باطنِ الصخورْ

هزمتمُ الجيوشَ .. إلا أنكم لم تهزموا الشعورْ

قطعتم الأشجارَ من رؤوسها ..

وظلّتِ الجذورْ

9

ننصحُكم أن تقرأوا

ما جاءَ في الزّبورْ ..

ننصحُكم أن تحملوا توراتَكم

وتتبعوا نبيَّكم للطورْ ..

فما لكم خبزٌ هنا.. ولا لكم حضورْ

من بابِ كلِّ جامعٍ ..

من خلفِ كلِّ منبرٍ مكسورْ

سيخرجُ الحجّاجُ ذاتَ ليلةٍ ..

ويخرجُ المنصورْ ...

10

إنتظرونا دائماً..

في كلِّ ما لا يُنتظَرْ

فنحنُ في كلِّ المطاراتِ،

وفي كلِّ بطاقاتِ السفرْ ..

نطلعُ في روما، وفي زوريخَ،

من تحتِ الحجرْ

نطلعُ من خلفِ التماثيلِ ..

وأحواضِ الزَّهرْ ..

رجالُنا يأتونَ دونَ موعدٍ

في غضبِ الرعدِ، وزخاتِ المطرْ

يأتونَ في عباءةِ الرسولِ،

أو سيفِ عُمرْ ..

نساؤنا ..

يرسمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمعِ الشجرْ

يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ، بوجدانِ البشرْ

نساؤنا ..

يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرضِ القمرْ ..

11

لقد سرقتمْ وطناً ..

فصفّقَ العالمُ للمغامرهْ

صادرتُمُ الألوفَ من بيوتنا

وبعتمُ الألوفَ من أطفالنا

فصفّقَ العالمُ للسماسرهْ ..

سرقْتُمُ الزيتَ من الكنائسِ

سرقتمُ المسيحَ من بيتهِ في الناصرهْ

فصفّقَ العالمُ للمغامرهْ

وتنصبونَ مأتماً ..

إذا خطفنا طائرهْ ..

12

تذكروا..

تذكروا دائماً ..

بأنَّ أمريكا – على شأنها –

ليستْ هيَ اللهَ العزيزَ القديرْ

وأن أمريكا – على بأسها –

لن تمنعَ الطيورَ أن تطيرْ

قد تقتلُ الكبيرَ .. بارودةٌ

صغيرةٌ .. في يدِ طفلٍ صغيرْ

13

ما بيننا .. وبينكم .. لا ينتهي بعامْ

لا ينتهي بخمسةٍ .. أو عشرةٍ .. ولا بألفِ عامْ

طويلةٌ معاركُ التحريرِ كالصيامْ

ونحنُ باقونَ على صدوركمْ .. كالنقشِ في الرخامْ ..

باقونَ في صوتِ المزاريبِ .. وفي أجنحةِ الحمامْ

باقونَ في ذاكرةِ الشمسِ، وفي دفاترِ الأيامْ

باقونَ في شيطنةِ الأولادِ .. في خربشةِ الأقلامْ

باقونَ في الخرائطِ الملوّنهْ

باقونَ في شعر امرئ القيس ..

وفي شعر أبي تمّامْ ..

باقونَ في شفاهِ من نحبّهمْ

باقونَ في مخارجِ الكلامْ ..

14

موعدُنا حينَ يجيءُ المغيبْ

موعدُنا القادمُ في تل أبيبْ

"نصرٌ من اللهِ وفتحٌ قريبْ"

15

ليسَ حزيرانُ سوى يومٍ من الزمانْ

وأجملُ الورودِ ما ينبتُ في حديقةِ الأحزانْ..

16

للحزنِ أولادٌ سيكبرونْ ..

للوجعِ الطويلِ أولادٌ سيكبرونْ ..

للأرضِ، للحاراتِ، للأبوابِ، أولادٌ سيكبرونْ ..

وهؤلاءِ كلّهمْ ..

تجمّعوا منذُ ثلاثينَ سنهْ

في غُرفِ التحقيقِ، في مراكزِ البوليسِ، في السجونْ

تجمّعوا كالدمعِ في العيونْ ..

وهؤلاءِ كلّهم ..

في أيِّ .. أيِّ لحظةٍ

من كلِّ أبوابِ فلسطينَ سيدخلونْ ..

17

.. وجاءَ في كتابهِ تعالى:

بأنكم من مصرَ تخرجونْ ..

وأنكمْ في تيهها، سوفَ تجوعونَ، وتعطشونْ

وأنكم ستعبدونَ العجلَ دونَ ربّكمْ

وأنكم بنعمةِ اللهِ عليكم سوفَ تكفرونْ

وفي المناشير التي يحملُها رجالُنا

زِدنا على ما قالهُ تعالى ،

سطرينِ آخرينْ :

" ومن ذُرى الجولانِ تخرجونْ .. "

" وضفّةِ الأردنِّ تخرجونْ .. "

" بقوّةِ السلاحِ تخرجونْ .. "

18

سوفَ يموتُ الأعورُ الدجّالْ

سوفَ يموتُ الأعورُ الدجّالْ

ونحنُ باقونَ هنا،

حدائقاً، وعطرَ برتقالْ

باقونَ فيما رسمَ اللهُ على دفاترِ الجبالْ

باقونَ في معاصرِ الزيتِ .. وفي الأنوالْ

في المدِّ .. في الجزرِ .. وفي الشروقِ والزوالْ

باقونَ في مراكبِ الصيدِ،

وفي الأصدافِ، والرمالْ ..

باقونَ في قصائدِ الحبِّ،

وفي قصائدِ النضالْ

باقونَ في الشعرِ، وفي الأزجالْ ..

باقونَ في عطرِ المناديلِ ..

وفي (الدَّبكةِ)[6] و (الموَّالْ) ..

في القصصِ الشعبيِّ، في الأمثالْ ..

---

[6] الدبكة وهي رقصة فولكلورية شعبية منتشرة في بلاد الشام وعند بعض الشعوب الأوروبية وهي تمثل التراث الفلكلوري لتلك البلدان. تمارس غالباً في المهرجانات والاحتفالات الأعراس. تتكون فرقة الدبكة من مجموعة تزيد عادة عن عشرة أشخاص يدعون دبيكة وعازف اليرغول (نايان مجموعان بخيط وهي آلة فلسطينية) أو الشبابة (الناي) والطبل. والدبكة هي رقصة شرقية جماعية معروفة في لبنان، سورية، تركيا، الأردن، فلسطين، والعراق وكذلك شمال السعودية.

باقونَ في الكوفيّةِ البيضاءِ، والعقالْ

باقونَ في مروءةِ الخيلِ، وفي مروءةِ الخيَّالْ

بالقونَ في (المهباجِ)[7] والبُنِّ،

وفي تحيةِ الرجالِ للرجالْ ..

باقونَ في معاطفِ الجنودِ،

في الجراحِ، في السُّعالْ

باقونَ في سنابلِ القمحِ، وفي نسائمِ الشمالْ

باقونَ في الصليبْ ..

باقونَ في الهلالْ ..

في ثورةِ الطلابِ، باقونَ، وفي معاولِ العمّالْ

باقونَ في خواتمِ الخطبةِ، في أسِرَّةِ الأطفالْ

---

[7] **المهباج هو جرن القهوة الخشبي وتسمِّيه العرب العزّام ، لأن دقته في بيوت شيوخ العرب كانت تعزم القوم لشرب قهوة الصباح.**

باقونَ في الدموعْ ..

باقونَ في الآمالْ ..

19

تسعونَ مليوناً من الأعرابِ ..

خلفَ الأفق غاضبونْ

يا ويلكمْ من ثأرهمْ ..

يومَ من القمقمِ يطلعونْ ..

20

لأنَّ هارونَ الرشيدَ ماتَ من زمانْ

ولم يعدْ في القصرِ غلمانٌ، ولا خصيانْ

لأنّنا نحن مَن قتلناهُ، وأطعمناهُ للحيتانْ

لأنَّ هارونَ الرشيدَ لم يعُدْ إنسانْ

لأنَّهُ في تختهِ الوثيرِ ..

لا يعرفُ ما القدسَ .. وما بيسانْ

فقد قطعنا رأسهُ، أمسُ،

وعلّقناهُ في بيسانْ

لأنَّ هارونَ الرشيدَ أرنبٌ جبانْ

فقد جعلنا قصرهُ قيادةَ الأركانْ ..

21

ظلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبوابْ ..

يشحذُ خبزَ العدلِ من موائدِ الذئابْ

ويشتكي عذابهُ للخالق التوَّابْ

وعندما ..

أخرجَ من إسطبلهِ حصانه

وزيَّتَ البارودةَ الملقاةَ في السردابْ

أصبحَ في مقدورهِ

أن يبدأ الحسابْ ..

22

نحنُ الذينَ نرسمُ الخريطهْ

ونرسمُ السفوحَ والهضابْ ..

نحنُ الذينَ نبدأُ المحاكمهْ

ونفرضُ الثوابَ والعقابْ ..

23

العربُ الذين كانوا عندكم

مصدّري أحلامْ

تحوّلوا بعدَ حزيرانَ إلى حقلٍ من الألغامْ

وانتقلت (هانوي) من مكانها ..

وانتقلتْ فيتنامْ ..

24

حدائقُ التاريخِ دوماً تزهرُ ..

ففي ذُرى الأوراسِ قد ماجَ الشقيقُ الأحمرُ ..

وفي صحاري ليبيا ..

أورقَ غصنٌ أخضرُ ..

والعربُ الذين قلتُم عنهمُ: تحجّروا ..

تغيّروا..

تغيّروا ..

25

أنا الفلسطينيُّ

بعد رحلةِ الضياعِ والسّرابْ

أطلعُ كالعشبِ من الخرابْ

أضيءُ كالبرقِ على وجوهكمْ

أهطلُ كالسحابْ

أطلعُ كلَّ ليلةٍ ..

من فسحةِ الدارِ، ومن مقابضِ الأبوابْ

من ورقِ التوتِ، ومن شجيرةِ اللبلابْ ..

من بركةِ الدارِ،

ومن ثرثرةِ المزرابْ

أطلعُ من صوتِ أبي ..

من وجهِ أمي الطيبِ الجذّابْ

أطلعُ من كلِّ العيونِ السودِ .. والأهدابْ

ومن شبابيكِ الحبيباتِ،

ومن رسائلِ الأحبابْ

أطلع من رائحة التراب

أفتحُ بابَ منزلي ..

أدخلهُ . من غيرِ أن أنتظرَ الجوابْ

لأنني أنا .. السؤالُ والجوابْ ..

26

محاصرونَ أنتمُ بالحقدِ والكراهيهْ

فمن هنا .. جيشُ أبي عبيدةٍ

ومن هنا معاويهْ

سلامُكم ممزَّقٌ ..

وبيتُكم مطوَّقٌ

كبيتِ أيِّ زانيهْ ...

27

نـأتي ..

بكوفيّاتنا البيضاءِ والسوداءْ

نرسمُ فوقَ جلدكمْ

إشارةَ الفداءْ

من رحمِ الأيامِ نـأتي كانبثاقِ الماءْ

من خيمةِ الذُّل التي يعلكُها الهواءْ

من وجعِ الحسينِ نـأتي ..

من أسى فاطمةَ الزهراءْ ..

من أُحدٍ نـأتي .. ومن بدرٍ ..

ومن أحزانِ كربلاءْ

نـأتي .. لكي نصحّحَ التاريخَ والأشياءْ ..

ونطمسَ الحروفَ في الشوارعِ العبريّةِ الأسماء..

1970

عرس الخيول الفلسطينية [8]

1

بشارع (فردان) كانت تموت الخيول الجميلة

بصمت ..

وتختار ميتتها النادرة

يقولون : إن الخيول بفطرتها

تعاني من العشق أيضاً ،

وتعرف معنى الفراق ، ومعنى الشجن

وتقرأ أحسن منا جميعاً

كتاب الوطن ..

---

[8] كتبت عن قادة المقاومة الفلسطينية كمال ناصر وكمال عدوان وأبي يوسف النجار وزوجته الذين اغتيلوا في منازلهم بشارع فردان في بيروت في نيسان 1973.

2

لماذا يسمونه مأتماً ؟

لقد كان أروع عرس رأته المدينة

ويا أم يوسف أنتِ العروس

ونحن شهودك ليل زُففتِ لزين الشباب ،

ونحن رشقناكما بالملبس والورد ،

ونحن رقصنا أمامكما رقصة السيف والترس ،

نحن وضعناك فوق حصان العريس

وثوب زفافك كان يلامس

أشجار غزة والناصرة

لماذا يقولون : إن الخيول

ـ إذا قتلت ـ تفقد الذاكرة ؟؟

3

لقد كان عرساً جميلاً ..

وكانت فلسطين تستقبل الناس في زيها الوطني

وكان رجال الصحافة يلتقطون تصاويرها

بين أولادها الأربعة

لقد زوجتهم جميعاً ..

وكانت جميع الخيول تمد إلى الشمس أعناقها العالية

وتركض .. تركض ..

تركض نحو حقول أريحا ..

وتلعب فوق بساتينها السندسية

لماذا يقولون: إن الخيول الكريمة

لا تعرف الحب .. والقصص العاطفية

4

صديقي كمال :

صديق الدفاتر .. والحبر .. والكلمات الجديدة

أكل الرصاص الذي أطلقوه عليك

لقتل قصيدة ؟

أكل الثقوب التي تركوها على شفتيك

لقتل قصيدة ؟

لقد كان عرساً جميلاً ..

وكنا نزفك بين رنين الدفوف

وضوء المشاعل

وكنت تغني ..

ونحن نلملم عن شفتيك

ألوف السنابل

وكنت تعلمنا كيف نلغي المسافة

بين الأديب وبين المقاتل ..

وكنت تعلمنا يا صديقي

بأن المسدس لايستطيع اغتيال البلابل ..

5

بشارع (فردان) كانت تموت الخيول الأصيلة

وكان رجال السياسة في الـ (دولتشي فيتا)[9]

يعيشون كالحلزون الكسول على فضلات الجرائد

كانوا يسبون كل كبير ..

[9] الدولتشي فيتا هو مقهى شهير في بيروت على اسم فيلم للمخرج الإيطالى المشهور فيدريكو بازوليني، وتعني العبارة، باللغة الايطالية، الحياة الجميلة وفيلم بازوليني جمع الممثلة السويدية وصاحبة أجمل ساقين، قبل ظهور جوليا روبرتس، أنيتا اكبرغ والممثل مارشيلو ماسترورياني. بينما مقهى الدولتشي فيتا Dolce Vita الذي أنشأه السوري سيف الدين الخوجا وشريكه الحلبي عبد المعطي شاهين تمكن أن يجمع، في مساءاته، أصنافاً شتي من السياسيين والمنفيين ورجال المخابرات، فكان من رواده: ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني ورشدي الكيخيا وعلي صالح السعدي ومنح الصلح ومحمد احمد المحجوب وزهير السعداوي مؤسس جمعية الندامى وغيرهم بالطبع. وكان هذا المقهى مقصدا للمخابرات اللبنانية والمصرية والسورية لكثرة إعداد اللاجئين السياسيين في بيروت آنذاك، الذين يتقاطرون، في كل ليلة، علي هذا المقهى للتداول في شؤون حياتهم. واشتهر الدولتشي فيتا بأنه وكر المؤامرات السياسية للسوريين والعراقيين. استطاع "الدولتشي فيتا" أن يحضن بين زواياه معظم مدبري انقلابات العالم العربي في تلك الأثناء. ويروي الذين عاصروا مجد ذلك المقهى ان قادة الانقلابات المنفيين من بلادهم كانوا يحددون ساعة الصفر في "الدولتشي فيتا" ويمضون إلى مصائرهم وهم يرتدون بيجاماتهم تحت سراويلهم، فإذا نجح الانقلاب صاروا حكاماً وإذا فشل وكان مصيرهم السجن خلعوا سراويلهم ومضوا إلى نوم طويل في السجون التي كان الداخل إليها مفقوداً والخارج منها مولوداً. وهناك في ذلك المقهى التقى معظم المنفيين العرب، من سوريا إلى مصر فالعراق فالأردن فالمملكة العربية السعودية فالسودان واليمن.

وكل صغير ..

وكل الحكومات والأنظمة ..

وكان رجال العقيدة يستشهدون بأفكار (ماو)[10]

ويحترفون النضال على علب (المارلبورو) الفارغة

وكان الجواسيس يصطحبون النساء علانية ،

ويرتشفون نبيذ البقاع ..

ويستمتعون بشمس شواطئنا الساحرة

وكانت فلسطين بين المحيط .. وبين الخليج ..

تفتش عن غرفة شاغرة ..

[10] ماوتسي تونج (26 ديسمبر 1893 - 9 سبتمبر 1976) : ثائر وسياسي شيوعي صيني شهير. ورئيس جمهورية الصين الشعبية منذ قيامها 1949 حتى وفاته في عام 1976.

دعوة اصطياف للخامس من حزيران[11]

1

سنةٌ خامسةٌ.. تأتي إلينا ..

حاملاً كيسكَ فوقَ الظهرِ، حافي القدمينْ ..

وعلى وجهكَ أحزانُ السماواتِ،

وأوجاعُ الحسينْ ..

سنلاقيكَ على كلِّ المطاراتِ .. بباقاتِ الزهورْ

وسنحسو ـ نخبَ تشريفكَ ـ أنهارَ الخمورْ

سنغنّيكَ أغانينا ..

ونُلقي أكذبَ الأشعارِ ما بينَ يديكْ

وستعتادُ علينا..

---

[11] في الذكرى السنوية الخامسة لنكسة حزيران (يونيو) 1967. في 5 حزيران 1972.

مثلما اعتدنا عليكْ ..

2

نحنُ ندعوكَ لتصطافَ لدينا

مثلَ كلِّ السائحينْ

وسنعطيكَ جناحاً ملكياً

لكَ جهزناهُ من خمسِ سنينْ

سوفَ تستمتعُ بالليلِ .. وأضواء النيونْ

وبرقصِ الجيركِ.. والجازِ.. وأفلامِ الشذوذْ..

فهُنا..

لا نعرفُ الحزنَ .. ولا من يحزنونْ ..

سوفَ تلقى في بلاديَ ما يسرُّكْ :

شققاً مفروشةً للعاشقينْ

وكؤوساً نُضّدت للشاربينْ

وحريماً لأميرِ المؤمنين !! ..

فلماذا أنتَ مكسورُ الجناحْ ؟

أيها الزائرُ ذو الوجهِ الحزينْ

ولدينا الماءُ ..

والخضرةُ ..

والبيضُ الملاحْ ..

ونوادي الليلِ تبقى عندنا مفتوحةً حتى الصباحْ..

فلماذا تتردّد؟

سوفَ ننسيكَ فلسطينَ ..

ونستأصلُ من عينيكَ أشجارَ الدموعْ

وسنُلغي سورةَ (الرحمن) ..

و(الفتح) ..

ونـغتالُ يسوعْ ..

وسنُعطيكَ جوازاً عربياً ..

شُطبتْ منهُ عباراتُ الرجوعْ ...

3

سنةٌ خامسةٌ ..

سادسةٌ ..

سابعة ..

ثامنة ..

تاسعة ..

عاشرةٌ ..

ما تـهمُّ السنواتْ ؟

إنَّ كلَّ المدنِ الكبرى من النيلِ .. إلى شطِّ الفراتْ

ما لـها ذاكرةٌ .. أو ذكرياتْ

كلُّ من سافرَ في التيـهِ نسينـاهُ ..

ومن قدْ ماتَ ماتْ ..

ما تـهمُّ السنواتْ ؟

نحنُ أعددنـا الأكاليلَ، وهيأنـا المنـاديلَ،

وألفنـا جميعَ الكلمـاتْ

ونـحتنـا، قبلَ أسبوعٍ، رخـامَ الشـاهداتْ

أيـها الشرقُ الذي يأكلُ أوراقَ البلاغاتْ ..

ويمشي ـ كخروفٍ ـ خلفَ كلِّ اللافتاتْ

أيـها الشرقُ الذي يكتبُ أسمـاءَ ضحـاياهْ ..

على وجهِ المرايا ..

وبطونِ الراقصاتْ ..

ما تـهمُّ السنوات ؟

ما تـهمُّ السنوات ؟

حوار مع عربي أضاع فرسه

1

لو كانتْ تسمعُني الصحراءْ

لطلبتُ إليها ..

أن تتوقف عن تفريخِ ملايينِ الشعراءْ

وتحرِّر هذا الشّعب الطيّبَ من سيفِ الكلماتْ

ما زلنا منذُ القرنِ السّابعِ ، نأكلُ أليافَ الكلماتْ

نتزحلقُ في صمغِ الرّاءاتْ

نتدحرجُ من أعلى الهاءاتْ

وننامُ على هجوِ جريرٍ ..

ونفيقُ على دمع الخنساءْ ..

ما زلنا منذ القرنِ السابعِ ..

خارجَ خارطةِ الأشياءْ

نترقبُ عنترةَ العبسيَّ ..

يجيءُ على فرَسٍ بيضاءْ ..

ليفرِّجَ عنّا كربتَنا ..

ويردَّ طوابيرَ الأعداءْ ..

ما زلنا نقضمُ كالفئرانِ ..

مواعظَ سادتِنا الفقهاءْ

نقرأُ (معروفَ الإسكافيَّ) ..

ونقرأُ (أخبارَ الندماءْ) ..

ونكاتَ جُحا ..

و (رجوعَ الشيخِ) ..

وقصّةَ (داحسَ والغبراءْ) ..

يا بلدي الطيّبَ ، يا بلدي ..

الكلمةُ كانتْ عصفوراً ..

وجعلنا منها ..

سوقَ بغاءْ ..

2

لو كانتْ نَجدٌ تسمعُني

والربعُ الخالي يسمعني

لختمتُ أنا بالشّمعِ الأحمرِ سوقَ عُكاظْ

وشنقتُ جميعَ النجّارينَ ..

وكلَّ بياطرةِ الألفاظْ

ما زلنا منذُ ولادتِنا ..

تسحقُنا عجلاتُ الألفاظْ

لو أُعطى السّلطةَ في وطني

لقلعتُ نـهارَ الجمعةِ أسنانَ الخُطباءْ

وقطعتُ أصابعَ من صبغوا بالكلمةِ أحذيةَ الخُلفاءْ

وجلدتُ جميعَ المنتَفعينَ بدينارٍ ..

أو صحنِ حساءْ ..

وجلدتُ الهمزةَ في لغتي ..

وجلدتُ الياءْ ..

وذبحتُ السّينَ .. وسوفَ ..

وتاءَ التأنيثِ البلهاءْ

والزخرفَ والخطَّ الكوفيَّ ،

وكلَّ ألاعيبِ البُلغاءْ

وكنستُ غبارَ فصاحَتنا ..

وجميعَ قصائدنا العصماءْ ..

يا بلدي ..

كيفَ تموتُ الخيلُ ..

ولا يبقى إلا الشعراءْ ؟؟

3

لو أُعطى السُّلطة في وطني

أعدمتُ جميعَ المنبطحينَ على أبوابِ مقاهينا

وقصصتُ لسانَ مغنّينا

وفقأتُ عيونَ القمرِ الضاحكِ من أحزانِ ليالينا

وكسرتُ زجاجتَهُ الخضراءْ ..

وأرحتُكَ يا ليلَ بلادي ..

من هذا الوحشِ الآكلِ من لحمِ البُسطاءْ ..

4

يا بلدي الطيّبَ .. يا بلدي

لو تنشفُ آبارُ البترولِ .. ويبقى الماءْ

لو يُخصى كل المنحرفينَ ..

وكلُّ سماسرةِ الأثداءْ

لو تُلغى أجهزةُ التكييفِ .. من الغرفِ الحمراءْ

وتصيرُ يواقيتُ التيجانِ ..

نعالاً في أقدامِ الفقراءْ ..

لو أملكُ كرباجاً بيدي ..

جرّدتُ قياصرةَ الصحراءِ من الأثوابِ الحضريَّهْ

ونزعتُ جميعَ خواتمهمْ

ومحوتُ طلاءَ أظافرهمْ

وسحقتُ الأحذيةَ اللمّاعةَ ..

والسّاعاتِ الذهبيّهْ

وأعدتُ حليبَ النُوقِ لهمْ

وأعدتُ سروجَ الخيلِ لهمْ

وأعدتُ لهم ،

حتّى الأسماءَ العربيّهْ ...

5

لو يكتُبُ في يافا الليمونُ .. لأرسلَ آلافَ القُبلاتْ

لو أنَّ بحيرةَ طبريّا .. تُعطينا بعضَ رسائلِها ..

لاحترقَ القارئُ والصفحاتْ ..

لو أنَّ القدسَ لها شفةٌ .. لاختنقت في فمها الصلواتْ

لو أنَّ ..

وما تُجدي (لو أنَّ) .. ونحنُ نسافرُ في المأساةْ

ونمدُّ إلى الأرضَ المحتلّهْ .. حبْلاً شعريَّ الكلماتْ

ونمدُّ ليافا منديلاً طُرِّزَ بالدمع .. وبالدعواتْ

يا بلدي الطيّبَ .. يا بلدي

ذبحَتْكَ سكاكينُ الكلماتْ ..

جريمة شرف أمام المحاكم العربية

1

... وفقدتَ يا وطني البكارهْ

لم يكترثْ أحدٌ ..

وسُجّلتِ الجريمةُ ضدَّ مجهولٍ ،

وأُرخيتِ السّتارهْ ..

نسيتْ قبائلُنا أظافرَها ،

تشابهتِ الأنوثةُ والذكورةُ في وظائفِها ،

تحوّلتِ الخيولُ إلى حجارهْ ..

لم تبقَ للأمواسِ فائدةٌ ..

ولا للقتلِ فائدةٌ ..

فإنَّ اللحمَ قد فقدَ الإثارهْ ..

2

دخلوا علينا ..

كانَ عنترةُ يبيعُ حصانهُ بلفافتَيْ تبغٍ ،

وقمصانٍ مشجَّرةٍ ،

ومعجونٍ جديدٍ للحلاقةِ ،

كانَ عنترةُ يبيعُ الجاهليّهْ ..

دخلوا علينا ..

كانَ إخوانُ القتيلةِ يشربونَ (الجِنَّ)[12] بالليمونِ ،

يصطافونَ في لُبنانَ ،

يرتاحونَ في أسوانَ ،

يبتاعونَ من (خانِ الخليليِّ) الخواتمَ ..

---

[12] الجن Gin : هو مشروب كحولي قوي، يصنع من تقطير كحول البذور البيضاء وعنب الجونيبر، الذي يمنحه طعمه الخاص. طعم الجن الطبيعي هو جاف جداً، ولهذا يخلط مع مشروبات أخرى.

والأساورَ ..

والعيونَ الفاطميّهْ ...

3

ما زالَ يكتبُ شعرهُ العُذريَّ ، قيسٌ

واليهودُ تسرّبوا لفراشِ ليلى العامريّهْ

حتى كلابُ الحيِّ لم تنبحْ ..

ولم تُطلَقْ على الزاني رصاصةُ بندقيّهْ

" لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ " !

ونحنُ ضاجعنا الغزاةَ ثلاثَ مرّاتٍ ..

وضيّعنا العفافَ .. ثلاثَ مرّاتٍ ..

وشيّعنا المروءةَ بالمراسمِ ، والطقوسِ العسكريّهْ

" لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ " !

ونحنُ غيّرنا شهادَتنا ..

وأنكرنا علاقتنا ..

وأحرقنا ملفّاتِ القضيّهْ ..

4

الشمسُ تشرقُ مرّةً أخرى ..

وعُمّالُ النظافةِ يجمعونَ أصابعَ الموتى ،

وألعابَ الصّغارْ ..

الشمسُ تشرقُ مرّةً أخرى ..

وذاكرةُ المدائنِ ،

مثلُ ذاكرةِ البغايا والبحارْ

الشمسُ تشرقُ مرّةً أخرى ،

وتمتلئُ المقاهي مرّةً أخرى ،

ويحتدمُ الحوارْ :

- إنَّ الجريمةَ عاطفيّهْ ..

- إنَّ النساءَ جميعهنَّ مغامِراتٌ ، والشريعةُ

عندنا ضدَّ الضحيّهْ ..

- يا سادتي : إنَّ المخطّطَ كلَّهُ من صنعِ أمريكا،

وبترولُ الخليجِ هو الأساسُ ، وكلُّ ما يبقى

أمورٌ جانبيّهْ ..

- ملعونةٌ أمُّ السياسةِ ... نحنُ نحبُّ أزنافورَ[13] ،

والوسكيَّ بالثلجِ المكسّرِ ، والعطورَ الأجنبيّهْ ..

- إنَّ النساءَ بنصفِ عقلٍ ، والشريعةُ عندَنا ضدَّ الضحيّهْ

...

---

[13] شارل أزنافور .Charles Aznavour ولد في 22 مايو 1924 في باريس، فرنسا. هو مغني، كاتب أغاني وممثل فرنسي - أرميني. ويقطن بجنيف.

- ....

- ....

ـ كل القوانين القديمة والحديثة عندنا ضد الضحية ...

5

العالمُ العربيُّ ، يبلعُ حبّةَ (البثِّ المباشرْ) ..

(يا عيني عالصبر يا عيني عليهْ)

والعالمُ العربيُّ ..

يضحكُ لليهودِ القادمينَ إليه ..

من تحتِ الأظافرْ ...

6

يأتي حزيرانُ ويذهبُ ..

والفرزدقُ يغرزُ السكّينَ في رئتَيْ جريرْ ..

والعالمُ العربيُّ شطرنجٌ ..

وأحجارٌ مبعثرةٌ ..

وأوراقٌ تطيرْ ..

والخيلُ عطشى ،

والقبائلُ تُستجارُ ، فلا تُجيرْ ..

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنهُ في السّاعةَ الأولى وخمس دقائق ،

شربَ اليهودُ الشايَ في بيروتَ ، وارتاحوا قليلاً في فنادقها ،

وعادوا للمراكبِ سالمينْ ...)

- لا شيءَ مثلَ (الجنِّ) بالليمونِ .. في زمنِ الحروبِ ..

ـ وأجملُ الأثداءِ ، في اللمسِ ، المليءُ .. المستديرْ ..

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنّهم طافوا بأسواقِ المدينة ،

واشتروا صُحفاً وتفّاحاً ، وكانوا يرقصونَ الجيركَ في حقدٍ ،

ويغتالونَ كلَّ الراقصينْ)

ـ إنَّ السّويدياتِ أحسنُ من يمارسنَ الهوى ...

ـ والجنسُ في استوكهولمَ يُشربُ كالنبيذِ على الموائدْ ...

ـ الجنسُ يُقرأُ في السّويدِ مع الجرائدْ ...

(الناطقُ الرسميُّ يعلنُ في بلاغٍ لاحقٍ ،

أنَّ اليهودَ تزوّجوا زوجاتِنا ، ومضوا بهنَّ .. فبالرفاهِ وبالبنينْ ..)

7

العالمُ العربيُّ غانيةٌ ..

تنامُ على وسادةِ ياسمينْ

فالحربُ من تقديرِ ربِّ العالمينْ

والسّلمُ من تقديرِ ربِّ العالمينْ

والجبنُ من تقدير ربِّ العالمينْ

8

قرّرتُ يا وطني اغتيالَكَ بالسفَرْ

وحجزتُ تذكرتي ،

وودّعتُ السّنابلَ ، والجداولَ ، والشَّجرْ

وأخذتُ في جيبي تصاويرَ الحقولِ ،

أخذتُ إمضاءَ القمرْ ..

وأخذتُ وجهَ حبيبتي ..

وأخذتُ رائحةَ المطرْ ..

قلبي عليكَ .. وأنتَ يا وطني

تنامُ على حَجَرْ ..

9

يا أيّها الوطنُ المسافرُ ..

في الخطابةِ ، والقصائدِ ، والنصوصِ المسرحيّهْ

يا أيّها الوطنُ المصوَّرُ ..

في بطاقاتِ السّياحةِ ، والخرائطِ ، والأغاني المدرسيّهْ

يا أيّها الوطنُ المحاصَرُ ..

بينَ أسنانِ الخلافةِ ، والوراثةِ ، والأمارهْ

وجميعِ أسماءِ التعجّبِ والإشارهْ

يا أيّها الوطنُ ، الذي شعراؤهُ

يضَعونَ - كي يُرضوا السّلاطينَ -

الرموشَ المستعارهْ !! ..

10

يا سيّدي الجمهورَ .. إنّي مستقيلْ

إنَّ الروايةَ لا تُناسبني ، وأثوابي مرقعةٌ ،

ودَوري مستحيلْ ..

لمِ يبقَ للإخراجِ فائدةٌ ..

ولا لمكبّراتِ الصوتِ فائدةٌ ..

ولا للشّعرِ فائدةٌ ، وأوزانِ الخليلْ

يا سيّدي الجمهورَ .. سامحني ..

إذا ضيّعتُ ذاكرتي ، وضيّعتُ الكتابةَ والأصابعْ

ونسيتُ أسماءَ الشوارعْ ..

إني قتلتُكَ ، أيّها الوطنُ الممدّدُ ..

فوقَ أختامِ البريدِ .. وفوقَ أوراقِ الطوابعْ ..

وذبحتُ خيلي المُضرباتِ عن الصهيلْ

إنّي قتلتُكَ .. واكتشفتُ بأنني كنتُ القتيلْ

يا سيّدي الجمهورَ .. سامحني

فدَورُ مهرّجِ السّلطانِ .. دَورٌ مستحيلْ

الحاكم والعصفور

1

أتجوَّلُ في الوطنِ العربيِّ

لأقرأ شعري للجمهورْ

فأنا مقتنعٌ

أنَّ الشعرَ رغيفٌ يُخبزُ للجمهورْ

وأنا مقتنعٌ – منذُ بدأتُ –

بأنَّ الأحرفَ أسماكٌ

وبأنَّ الماءَ هوَ الجمهورْ ..

*

2

أتجوَّلُ في الوطنِ العربيِّ

وليسَ معي إلا دفترْ

يُرسلني المخفرُ للمخفرْ ..

يرميني العسكرُ للعسكرْ ..

وأنا لا أحملُ في جيبي إلا عصفورْ

لكنَّ الضابطَ يوقفني

ويريدُ جوازاً للعصفورْ

تحتاجُ الكلمةُ في وطني

لجوازِ مرورْ !!

*****

3

أبقى ملحوشاً[14] ساعاتٍ

منتظراً فرمانَ المأمورْ

أتأمّلُ في أكياسِ الرملِ

ودمعي في عينيَّ بحورْ

وأمامي ارتفعتْ لافتةٌ

تتحدّثُ عن (وطنٍ واحدْ) ..

تتحدّثُ عن (شعبٍ واحدْ) ..

وأنا كالجُرذِ هنا قاعدْ

أتقيأُ أحزاني ..

وأدوسُ جميعَ شعاراتِ الطبشورْ

---

[14] منتظرا بلا جدوى أو مرميا .. مثل كلمة ملطوع في العامية المصرية. ملحوش في السجن .. ملحوش على الأرض .. ملحوش على الدكة.

وأظلُّ على بابِ بلادي

مرميّاً ..

كالقدحِ المكسورْ ...

الوصية

1

أفتحُ صندوقَ أبي

أمزِّقُ الوصيّهْ

أبيعُ في المزادِ ما ورثْتُهُ :

مجموعةَ المسابحِ العاجيّهْ

طربوشَهُ التركيُّ ، والجواربُ الصوفيَّهْ

وعلبةَ النشوق، والسماورُ[15] العتيقُ، والشمسيَّهْ

---

[15] السماور Samovar أو بالروسية самовар أو كما يسميه البعض "السموار" كلمة روسية معناها يغلي من تلقاء نفسه أوكما يسميه البعض (البخاري) نسبة الى بخارى من مدن دول آسيا الوسطى فيما يعرف بالإتحاد السوفييتي سابقا وقد أسماه البعض بالبخاري فهو غلاية مياه نسبة إلى طريقة طبخ الشاي بالبخار يستخدم جهاز السماور أو ((السموار)) البخاري في دول روسيا و بخارستان و ما جاورها و أفغانستان و العراق أيضا وما جاورها و تركيا التي اشتهرت أيضا بصناعة أنواع جيدة و باهظة الثمن من السموارات و أيضا إيران و التي يوجد و بكميات كبيرة.

أسحبُ سيفي غاضباً

وأقطعُ الرؤوسَ ، والمفاصل المرخيَّهْ

وأهدمُ الشرقَ على أصحابهِ

تكيَّةً .. تكيَّهْ ...

2

أفتحُ صندوقَ أبي

فلا أرى ..

إلا دراويشَ ومولويَّهْ

والعودَ، والقانونَ، والبشارفَ[16] الشرقيَّهْ

---

[16] جمع بشرف Peşrev . هو شكل من أشكال التآليف الموسيقية يكون مبنيا على إيقاع 4/4 يتكون عادة من أربع حركات (خانات) وتسليم وجميعها مبنية على نفس الإيقاع. البشرف قطعة تركيّة والكلمة من أصل فارسي معناها الذهاب أمام. اقتبست للدلالة على المقدّمة الموسيقية وقد أرجع الأستاذ زكريا يونس في كتاب له نشأتها إلى أبي نصر الفارابي في القرن العاشر الميلادي. ويعتقد أن هذه القطعة قد بعثت مع بداية الدولة العثمانيّة في تركيا في القرن الرابع عشر الميلادي وترعرعت عند انتقال هذه الدولة إلى إسطنبول وذلك ضمن الموسيقى العسكريّة التي يعزفها المهتر. انتقل البشرف إلى الموسيقى الوترية في شكل قطعة موسيقية في مقام معيّن على وزن أو أكثر وبدون أي قيد والملاحظ أن جميع الأقطار العربية الشرقية لم يكن بها

وقصَّةَ الزيرِ على حصانِهِ ..

وعاطلينَ يشربونَ القهوةَ التركيَّهْ

أسحبُ سيفي غاضباً

وأقتلُ المعلّقاتِ العشرَ .. والألفيَّهْ

وأقتلُ الكهوفَ، والدفوفَ،

والأضرحةَ الغبيَّهْ ..

3

من المقدمات سوى البشارف التركية. ونجد في تونس والجزائر نوعاً خاصّاً من البشارف لم يعثر عليها في التراث التركي وقد اتسمت هذه البشارف بطابع خاص تولّد عن نوعية موسيقى هذين البلدين. وعن نوعية ما جلبه اللاجئون الأندلسيون. وهناك بشرفاً جزائرياً يدعى العرايسي خاص بمدينة قسنطينة. وفي تونس حافظ البشرف على قوته العسكرية وقد كان يعزف لدى طبّآلة الباشا. وإلى الآن يسمى الجزء الأخير من البشرف بالحربي. وقد انتقل البشرف إلى الموسيقى الوترية في القرن الماضي وقد كان لعازفي الكمان فيه جولات وتصرّف وإرتجال قبل الحربي. وقد كان عازفوا الرباب يتحوّلون إلى عزف الكمنجة الغربية عند طرق البشرف. وهناك بشرفاً تونسياً خاصّاً وهو بشرف النواصي وهو يتميّز بالقسم الأول من حربه حيث يعتبر الشاهد الوحيد من الموسيقى العربية والشرقية الذي لحّن على إيقاع حرّ أي منوّع الأجزاء وهي خاصيّه إستعملها الغربيون في تلاحينهم المعاصرة ولم يصل البشرف التركي أوجه إلاّ في القرن التاسع عشر حيث ضبطت له القواعد تجعله يتركّب من أربع خانات أو قطع صغيره تتخللها قطعة تسمّى التسليم مع إمكانية تنويع المقامات في الخانات الثانية والثالثة والرابعة.

3

أفتحُ تاريخَ أبي ..

أفتحُ أيّامَ أبي ..

أرى الذي ليسَ يُرى :

أدعيةٌ ... مدائحٌ دينيَّهْ

أوعيةٌ ... حشائشٌ طبيَّهْ

أدويةٌ .. للقُدرةِ الجنسيَّهْ

أبحثُ عن معرفةٍ تنفعُني

أبحثُ عن كتابةٍ تَخُصُّ هذا العصرَ .. أو تخصُّني

فلا أرى حولي سوى .. رملٍ وجاهليَّهْ ..

4

أرفضُ ميراثَ أبي ..

وأرفضُ الثوبَ الذي ألبَسَني

وأرفضُ العلمَ الذي علَّمَني

وكلَّ ما أورَثني .. من عُقدٍ جنسيَّهْ

أرفضُ ألفَ ليلةٍ ..

والقمقمَ العجيبَ، والماردَ، والسجّادةَ السحريَّهْ

أرفضُ سيفَ الدولةِ المغرورَ ..

والقصائدَ الذليلةَ الغبيَّهْ

أحرقُ رسمَ أُسرتي ..

أحرقُ أبجديّتي ..

ومن فلسطينَ ومن صمودِها ..

من طلقاتِ النارِ في جرودِها[17] ..

من قمحِها المغموسِ بالدمعِ ،

ومن ورودها

أصنعُ أبجديَّهْ ...

5

أدخلُ مثلَ البرقِ من نافذةِ الخليفَهْ

أراهُ لا يزالُ مثلما تركتُهُ

منذُ قرونٍ سبعةٍ

مضاجعاً جاريةً روميَّهْ

أقرأُ آياتٍ من القرآنِ فوقَ رأسِهِ

---

[17] الجرود جمع جارد وهي مصطلح مشهور في لبنان وسوريا خصوصا ومعناه قمم الجبال العالية المغطاة بالخضرة والأشجار.والحياة فيها صعبة ومن الصعب إيصال المياه إليها وزراعتها.

مكتوبةً بأحرفٍ كوفيَّهْ

عن الجهادِ في سبيلِ الله ، والرسولِ ،

والشريعةِ الحنفيَّهْ ..

أقولُ في سريرَتي :

" تباركَ الجهادُ في النُحُورِ،

والأثداءِ ..

والمعاصمِ الطريَّهْ ..

يا حضرةَ الخليفَهْ ..

أعبرُ من سراديقِ الحريم كالمنيَّهْ

أمشي على الأبدانِ ، والغلمانِ ،

والأساورِ المرميَّهْ ..

أمشي على توجُّعِ الحريرِ والقطيفَهْ

6

أدخلُ مثلَ الموتِ من نافذةِ الخليفَهْ

يحسبُني مُرتزقاً

دَبَّجتُ في مديحِهِ قصيدةً همزيَّهْ

يأمرُ لي من بيتِ مالِ المؤمنينَ كلَّ ما أطلبُهُ

عباءةً من قصَبٍ

وساعةً من ذَهَبٍ

ومن نساءِ قصرهِ محظيَّهْ

أبصقُ فوقَ وجههِ ..

وفوقَ وجه الدولةِ العليَّهْ

من أنتَ ؟

يا سيَّافُ .. إقطعْ رأسَهُ ..

وهاتِ لي الرأسَ على صينيَّهْ

يا مَلِكَ الزمانِ .. إنْ قتلتَني

فمستحيلٌ تقتلُ الحريَّهْ ...

7

قُم يا طويلَ العُمرِ ..

من حُجرَتِكَ الورديَّهْ

وافتحْ شبابيكَكَ ..

للشمسِ ، وللعدلِ ، وللرعيَّهْ

فما رآكَ الشعبُ منذُ آخرِ أيّامِ بني أميَّهْ ..

هل أنتَ حقاً من بني أميَّهْ ؟

أخرجْ إلى الشارعِ يا أميرَنا ..

واقرأ ..

ولو صحيفةً يوميَّهْ

إقرأ ..

عن السويسِ ، والأردنِّ ، والجولانِ

والمدائنِ السبيَّهْ ..

عن الذين يعبرونَ النـهرَ ..

نحوَ الضفَّةِ الغربيَّهْ

هل يا طويلَ العُمرِ .. في بلاطِكمْ

خريطةٌ صغيرةٌ ..

للضفَّةِ الغربيَّهْ ؟ ...

الخطاب

1

أوقفونـي ..

وأنـا أضحكُ كالمجنونِ وحدي

من خطابٍ كانَ يلقيهِ أميرُ المؤمنينْ

كلّفتنـي ضحكتي عشرَ سنينْ

سألونـي ،

وأنـا في غرفةِ التحقيقْ ، عمّن حرّضونـي

فضحكتْ ..

وعن المالِ ، وعمّن موّلونـي ..

فضحكتْ ..

كتبوا كلَّ إجاباتي وإفاداتي ..

ولم يستجوبونـي .

قالَ عنّي المدّعي العام ،

وقالَ الجندُ حينَ اعتقلونـي :

إننـي ضدَّ الحكومَهْ ..

لم أكنْ أعرفُ أنَّ الضحكَ ..

يحتاجُ لترخيصِ الحكومَهْ ..

ورسومٍ ، وطوابِعْ ..

لم أكنْ أعرفُ شيئاً ..

عن غسيلِ المخِّ ..

أو فرمِ الأصابِعْ !!

في بلادي ..

ممكنٌ أن يكتبَ الإنسانُ ضدَّ اللهِ ..

لا ضدَّ الحكومهْ

فاعذروني ، أيّها السّادةُ ،

إنْ كنتُ ضحكتْ ..

كانَ في ودّي أن أبكي ..

ولكنّي ضحكتْ ..

2

كُنتُ بعدَ الظهرِ في المقهى ..

وكانَ البهلوانْ ..

يلبسُ الطرطورَ بالرأسِ ..

ويلقي كلَّ (ما يطلبهُ المستمعونْ)

عن حزيرانَ الذي صارَ معَ الأيامِ ..

(ما يطلبهُ المستمعونْ)

عن فلسطينَ التي صارَت معَ الأيامِ ..

(ما يطلبهُ المستمعونْ)

واحتفالاً مثلَ عيدِ الفطرِ والأضحى ..

أراجيحَ ، وكعكاً ، وفطائرْ ..

وزياراتِ مقابرْ ..

كنتُ أسترجعُ أفكاري ،

وكانَ المخبرونْ

كالجراثيمِ .. على كلِّ الفناجينِ ، وفي كلِّ الصحونْ ..

كنتُ أصغي .. كألوفِ البسطاءِ الطيّبينْ

لكلامِ البهلوانْ

وهوَ يحكي .. ثم يحكي .. ثم يحكي ..

مثلَ صندوقِ العجائبْ

.. وتذكّرتُ ليالي رمضانْ

وأرجوازَ الذي كانَ له ألفُ لسانٍ .. ولسانْ

وتذكّرتُ فلسطينَ التي صارتْ حقيبهْ

ما لها في الأرضِ صاحبْ

كانَ في حنجرتي ملحٌ ،

وحزني كانَ في حجمِ الكواكبْ

فاعذروني ، أيّها السّادةُ ،

إن حطّمتُ صندوقَ العجائبْ

وتقيّأتُ على وجهِ أميرِ المؤمنينْ

وكبيرِ الياورانْ ..

واسترحتْ ..

كانَ في ودّيَ أن أبكي ..

ولكنّي ضحكتْ ..

3

نشروا في صحفِ اليومِ

تصاويري .. على أوّلِ صفحهْ ..

واعترافاتي على أولِ صفحهْ ..

فضحكتْ ..

قدّموني للإذاعاتِ طعاماً ،

ولأسنانِ الصحافهْ ..

جعلوني - دونَ أن أدري - خُرافهْ

ربطوني بالسّفاراتِ .. وأحلافِ الأجانبْ

فضحكتْ ..

إنني لم أشتغلْ من قبلُ قوّاداً ..

ولا كنتُ حصاناً للأجانبْ

أنا عبدٌ من عبادِ اللهِ مستورٌ

ومغمورٌ ،

ومحدودُ المواهبْ

أسمعُ الأخبارَ كالناسِ ..

وأستقبلُ مأمورَ الضرائبْ

زوجتي طيّبةُ القلبِ ، وعندي ولدانْ

وأبي حاربَ ضدَّ التُركِ في الشامِ ..

وماتْ

أنا لا أفهمُ في النحوِ .. وفي الصرفِ ..

وفي علمِ الكلامْ

غيرَ أني لم أعدْ أفهمُ ـ من بعدِ حزيرانَ ـ الكلامْ ..

غيرَ أني لم أعدْ أفهمُ ما معنى الكلامْ ..

لم أعدْ أهضمُ حرفاً ..

من أكاذيبِ أمير المؤمنينْ

صارت الألفاظُ مطاطاً ..

وصارت لغةُ الحكّامِ صمغاً وعجينْ ..

خدّروني ..

بملايينِ الشعاراتِ .. فنمتْ

وأروني القدسَ في الحلمِ ..

ولم أجدَ القدسَ ، ولا أحجارَها ، حينَ استفقتْ

فاعذروني ،

أيّها السّادةُ ، إن كنتُ ضحكتْ

كانَ في ودّيَ أن أبكي ..

ولكنّي ضحكتْ

4

كنتُ في المخفرِ مكسوراً .. كبللور كنيسهْ

نافخاً (سورةَ ياسين) بوجهِ القاتلينْ

لم أكنْ أملكُ إلا الصبرَ ..

(واللهُ يحبُّ الصابرينْ)

وجراحي .. كبساتينِ أريحا ..

يمطرُ الياقوتُ منها ..

ويضوعُ الياسمينْ

وفلسطينُ على الأرضِ .. حمامهْ

سقطَتْ تحتَ نعالِ المخبرينْ ..

كنتُ وحدي ..

لم يزرْني أحدٌ في السجنْ ..

إلا جبلُ الكرملِ ، والبحرُ ، وشمسُ الناصرَهْ

كنتُ وحدي ..

وملوكُ الشرقِ كانوا جُثثاً

فوقَ مياهِ الذاكرهْ

كنتُ مجروحاً ..

ومطروحاً على وجهي ، كأكياسِ الطحينْ

أيّها السّادةُ : لا تندهشوا ..

كلّنا في نظرِ الحاكمِ .. أكياسُ طحينْ

كلّنا ـ بعد حزيرانَ ـ خِرافٌ

كلّنا في مذبحِ الحكمِ ، خِرافٌ

نتسلّى بحشيشِ الصبرِ ..

(واللهُ يحبُّ الصابرينْ)

فأطالَ اللهُ في عمرِ أميرِ المؤمنينْ

نائبِ اللهِ على الأرضِ ..

كبيرِ العادلينْ ..

5

أيّها السّادةُ :

إني وارثُ الأرضِ الخرابْ

كلّما جئتُ إلى بابِ الخليفهْ

سائلاً عن (شرمِ الشيخ) ..

وعن (حيفا) ..

و (رامَ اللّه)

و (الجولانِ)

أهداني خطابْ ..

كلّما كلّمتُهُ ـ جلَّ جلالُهْ ـ

عن حزيرانَ الذي صارَ حشيشاً ..

نتعاطاهُ صباحاً ومساءْ ..

واحتفالاً مثلَ عيدِ الفطرِ ، والأضحى ،

وذكرى كربلاءْ

ركبَ السيّارةَ المكشوفةَ السقف ..

وغطّى صدرهُ بالأوسمهْ

ورشاني بخطابْ ..

كلّما ناديتُهُ : يا أميرَ البرّ .. والبحرِ .. ويا عالي الجنابْ

سيفُ إسرائيلَ في رقبتِنا ..

سيفُ إسرائيل في ..

سيفُ إسـ ....

ركبِ السيّارةَ المكشوفةَ السقف ..

إلى دارِ الإذاعهْ ..

ورشاني بخطابْ ..

ورماني بينَ أسنانِ الجواسيسِ ،

وأنيابِ الكلابْ ..

فاعذروني ، أيّها السّادةُ ، إن كنتُ كفرتْ

وَصَفوا لي صبرَ أيّوبَ دواءً .. فشربتْ

أطعموني

ورقَ النشّافِ .. ليلاً ونهاراً ..

فأكلتْ ...

أدخلوني لفلسطينَ ..

على أنغامِ (ما يطلبهُ المستمعونْ)

أدخلوني في دهاليزِ الجنونْ ..

فاعذروني ـ أيّها السّادةُ ـ إن كنتُ ضحكتْ

كان في ودّيَ أن أبكي ..

ولكنّي ضحكتْ ..

بانتظار غودو[18]

1

ننتظرُ القطارْ

ننتظرُ المسافرَ الخفيَّ كالأقدارْ

يخرجُ من عباءةِ السنينْ

[18] نسبة لمسرحية صموئيل بيكيت بانتظار غودو Waiting for Godot. من هو غودو هذا؟

أهو المنقذ، أم الشافي أم من يجعل الحلم حقيقة؟ من هو؟ أهو الأمل، الفرح، السعادة؟ أهو الموت، الفراغ، اللاجدوى؟ من هو هذا القادم الذي يقضي أبطال بيكيت حياتهم في انتظاره دون جدوى، وسط يأس كامل، وطبيعة جرداء: أهو الطفل الذي جاء لهم بعدة أخبار متناقضة، مرّة يقول إنه سيجيء، ومرّة يقول إنه لن يجيء اليوم؟ أهو (بوزو) القوي المستعبد لـ (لاكي) المستعبد الراضي باستعباده؟

من هو غودو: أهو الزمن الذي يحطم البشرية شيئاً فشيئاً، ويقودها، وهي ساهمة لاهية، لتشرب من كأس الموت؟ أم هو العبث: حيث لا شيء يحدث ولا أحد يجيء ـ كما تقول المسرحية ـ وحيث باطل الأباطيل باطل؟ ولماذا لا يجيء أبداً؟

إن لغزية هذا القادم الذي لا يجيء أبداً وسرّيته وغرائبيته وابهامه المطلق قد ألقى بظلال عميقة على مسرح صموئيل بيكيت (1906 ـ 1989). فهو، أي غودو، قد نسف تقاليد الدراما المتعارف عليها، مثلما نسف تقاليد الحوار وتطور الحبكة المسرحية وصولاً إلى الذروة. هنا الحوار مقطوع، مبهم، مرتبك، لا يوصل رسالة ما، أي رسالة كانت. والمتحاورون لا يقولون شيئاً مفيداً. ربما لأنّ فاجعتهم، أعني حياتهم (التي هي حياتنا دون أدنى شك) أكبر من أن توصف، وأكبر من أن يُعثر لها على حلٍ ناجع. هكذا نراهم يتحدثون فقط، لتمضية الوقت انهم يتحدثون عن أيّ شيء كان ليقتلوا الصمت. فالصمت مرعب وسط طبيعة جرداء، والانتظار أكثر رعباً.

يخرجُ من بدرٍ ،

من اليرموكِ ،

من حطّينْ ..

يخرجُ ..

من سيفِ صلاحِ الدّينْ ..

من سنةِ العشرينْ

ونحنُ مرصوصونَ ..

في محطّةِ التاريخِ ، كالسّردينْ ..

يا سيّداتي سادتي :

هل تعرفونَ ما حُريّةُ السّردينْ ؟

حينَ يكونُ المرءُ مضطرّاً

لأن يقولَ رغمَ أنفهِ : (آمينْ)

حينَ يكونُ الجرحُ مضطرّاً

لأن يُقبّلَ السكّينْ ..

يا سيّداتي سادتي :

من سنةِ العشرينْ

ونحنُ كالدجاجِ في أقفاصنا

ننظرُ في بلاهةٍ

إلى خطوطِ سكّةِ الحديدْ

أفقيّةٌ حياتُنا ..

مثلَ خطوطِ سكّةِ الحديدْ

ضيّقةٌ .. ضيّقةٌ أيامنا

مثلَ خطوطِ السكّةِ الحديدْ

ساعاتُنا واقفةٌ

لا اللهُ يأتينا .. ولا موزّعُ البريدْ

من سنـةِ العشرينْ ،

حتى سنـةِ السبعينْ

نجلسُ في انتظارِ وجهِ الملكِ السعيدْ

كلُّ الملوكِ يشبـهونَ بعضَهمْ

والملكُ القديمُ ،

مثلُ الملكِ الجديدْ ...

2

ننتظرُ القطارْ

ونـحملُ البيارقَ الحمراءَ ، والأزهارْ

تمضغُنـا ..

مكبّراتُ الصوتِ في الليلِ وفي النـهارْ

تنشرُنا إذاعةُ الدولةِ بالمنشارْ

إنتبهوا ! ...

إنتبهوا ! ...

خمسينَ يوماً - ربّما - تأخّرَ القطارْ ..

خمسينَ عاماً - ربّما - تأخّرَ القطارْ ..

خمسينَ قرناً - ربّما - تأخّرَ القطارْ ..

تقيّحتْ أفخاذُنا ...

من كثرةِ الجلوسْ

تقيّحَتْ في رأسنا الأفكارْ ..

وصارَ لحمُ ظهرِنا ..

جزءاً من الجدارْ ..

جاؤوا بنا عشرينَ ألفَ مرّةً

تحتَ عويلِ الريحِ والأمطارْ

واستأجروا الباصاتِ كي تنقلنا

ووزّعوا الأدوار ..

وعلّمونا ..

كالقرودِ الرقصَ ..

والعزفَ على المزمارْ

ودرّبونا ..

ـ ككلابِ الصيد ـ كيفَ ننحني

للقادمِ المسكونِ بالدهشةِ والأسرارْ

إذا أتى القطارْ ...

3

لم نَرَهُ ..

لكنَّ مَن رأوهُ فوقَ الشاشةِ الصغيرهْ

يبتلعُ الزجاجَ ..

أو يسيرُ كالهنودِ فوقَ النارْ

ويُخرجُ الأرانبَ البيضاءَ من جيوبهِ

ويقلبُ الفحمَ إلى نُضارْ [19]

يؤكّدونَ أنّهُ ..

من أولياءِ اللهِ .. جلَّ شأنُهُ

وأنَّ نورَ وجههِ يحيِّرُ الأبصارْ ..

وأنّهُ سيحملُ القمحَ إلى بيوتنا

والسمنَ .. والطحينَ .. بالقنطارْ

ويجعلُ العميانَ يبصرونْ

ويجعلُ الأمواتَ ينهضونْ

---

[19] النضار : الذهب.

ويزرعُ الحنطةَ في البحارْ

وأنّهُ - في سنواتِ حكمهِ -

يُدخلنا لجنّةٍ ..

من تحتها تنسكبُ الأنهارْ ..

لم نرَهُ ..

ولم نقبّلْ يدهُ ..

لكنَّ مَن تبرّكوا يوماً بهِ ..

قالوا بأنَّ صوتَهُ

يُحرّكُ الأحجارْ ..

وأنّهُ ..

وأنّهُ ..

هوَ العزيزُ .. الواحدُ .. القهّارْ ..

4

ننتظرُ القطارْ

مكسورةٌ ـ منذُ أتَينا ـ ساعةُ الزمانْ

والوقتُ لا يمرُّ ..

والثواني ما لها سيقانْ

تعلكُنا ..

تنهشُنا ..

مكبّراتُ الصوتِ بالأسنانْ ..

إنتبهوا ! ...

إنتبهوا ! ...

لا أحدٌ يقدرُ أن يغادرَ المكانْ ..

ليشتري جريدةً ..

أو كعكةً ..

أو قطعةً صُغرى من اللبانْ

لربّه ، لا أحدٌ ، يقدرُ أن يقولَ :

(يا ربّاه) ..

لا أحدٌ ..

يقدرُ أن يدخلَ ، حتّى ، دورةَ المياهْ ..

تعالَ يا غودو ..

وخلّصنا من الطغاةِ والطغيانْ ..

ومن أبي جهلٍ ، ومن ظُلمِ أبي سُفيانْ

فنحنُ محبوسونَ في محطّةِ التاريخِ كالخرفانْ

أولادُنا ناموا على أكتافِنا ..

رئاتُنا .. تسمّمَتْ بالفحمِ والدخانْ

والعَرْضَحَالاتُ التي نحملُها

عن قلَّةِ الدواءْ ..

والغلاء ..

والحِرمان ..

صادَرَها مرافقو السلطانْ

تعالَ يا غودو .. وجفِّفْ دمعَنا ..

وأنقذِ الإنسانَ من مخالبِ الإنسانْ ..

5

تعالَ يا غودو ..

فقد تخشَّبتْ أقدامُنا انتظارْ

وصارَ جلدُ وجهِنا ..

كقطعةِ الآثارْ ..

تبخّرتْ أنهارُنا

وهاجَرَتْ جبالُنا

وجَفّتِ البحارْ

وأصبحتْ أعمارُنا ليسَ لها أعمارْ ..

تعالَ يا غودو .. فإنَّ أرضَنا

ترفضُ أن تزورَها الأمطارْ

ترفضُ أن تكُبرَ في ترابنا الأشجارْ

تعالَ .. فالنساءُ لا يحبلنَ ..

والحليبُ لا يدرُّ في الأبقارْ

إن لم تجئْ من أجلنا نحنُ ..

فمن أجلِ الملايينِ من الصّغارْ

من أجلِ شعبٍ طيّبٍ ..

ما زالَ في أحلامهِ

يُقرقشُ الأحجارْ ..

يقرقشُ المعلّقاتِ العشرَ ..

والجرائدَ القديمهْ ..

ونشرةَ الأخبارْ ..

مورفين

1

اللفظةُ طابةٌ[20] مطّاطٍ..

يقذفُها الحاكمُ من شُرفتهِ للشارعْ ..

ووراءَ الطابةِ يجري الشعبُ

ويلهثُ .. كالكلبِ الجائعْ ...

[20] الطابة هي الكرة.

2

اللفظةُ، في الشرقِ العربيِّ

أرجوازٌ بارعْ

يتكلَّمُ سبعةَ ألسنةٍ ..

ويطلُّ بقبّعةٍ حمراءْ ..

ويبيعُ الجنّةَ للبسطاءْ ..

وأساورَ من خرزٍ لامعْ ..

ويبيعُ لهمْ .. فئراناً بيضاً .. وضفادعْ ..

3

اللفظةُ جسدٌ مهترئٌ

ضاجعهُ الكاتب ، والصحفيُّ

وضاجعهُ ...

شيخُ الجامعْ ..

4

اللفظةُ إبرةُ مورفينٍ

يحقنُها الحاكمُ للجمهورِ ..

منَ القرنِ السابعْ

اللفظةُ في بلدي امرأةٌ

تحترفُ الفحشَ ..

منَ القرنِ السابعْ ..

قراءة أخيرة على أضرحة المجاذيب

-1-

أرفضكم جميعكم

وأختم الحوار

لم تبق عندي لغة

أضرمت في معاجمي

وفي ثيابي النار ..

هربت من عمرو بن كلثوم ..

ومن رائية الفرزدق الطويلة

هاجرت من صوتي،

ومن كتاباتي ..

هاجرت من ولادتي ..

هاجرت من مدائن الملح

ومن قصائد الفخار ..

-2-

حملتُ أشجاري إلى صحرائكم

فانتحرتْ ..

من يأسها الأشجار

حملتُ أمطاري إلى جفافكم

فشحّتْ الأمطار

زرعتُ في أرحامكم قصائدي

فاختنقتْ ..

يا رَحِماً .. يحبل بالشوك والغبار ..

-3-

حاولت أن أقلعكم

من دبق[21] التاريخ ..

من رزنامة الأقدار ..

ومن قِفا نَـبْكِ ...

ومن عبادة الأحجار ..

حاولتُ ..

أن أفك عن طروادة حصارها

حاصرني الحصار .

---

[21] الدِّبق شيء يَلْتَزِق كالغِراء يصاد به الطير.أو حمل شجر في جَوْفه كالغِراء لازق يَلْزَق بجناح الطائر فيُصاد به. أي بمعنى المادة الصمغية.أو هو جنس شجر قصير له ثمر مخاطي من فصيلة الحمحميات. Viscum album.وهو نبات متطفل ويتطفل على أشجار اللوز والبلوط والحور والصفصاف والتفاح، يستخدم هذا النوع الماصات للحصول على الماء والأملاح المعدنية من النبات المضيف.

- 4 -

أرفضكم ..

أرفضكم ..

يا من صنعتم ربكم من عجوة ..

لكل مجذوب بنيتم قبة

وكل دجال أقمتم حولـه مزار

حاولتُ أن أنقذكم

من ساعة الرمل التـي تبلعكم

في الليل والنـهار

من الـحجابات على صدوركم ..

من القراءات التي تتلى على قبوركم

من حلقات الذكر ،

من قراءة الكف ،

ورقص الزار ..

حاولتُ أن أدق في جلودكم مسمار

يئستُ من جلودكم

يئستُ من أظافري

يئستُ من سماكة الجدار ...

-5-

من مللي ..

شنقتُ نفسي أمس .. في ضفائر الحبيبة ..

لمِ أستطعِ أن أفعل الحب .. كما عودتها ..

كانت خطوط جسمها غريبة

كان السرير بارداً ..

والبرد كان بارداً ..

ونهد من أحبها ليمونة كئيبة ..

بعد حزيران أضعتُ شهوتي

سقطتُ فوق ساعديّ حبيبتي

كالراية المثقوبة ..

-6-

أنظر كالمشدوه .. في خريطة العروبة

في كل شبر أُعلنتْ خلافة ..

وحاكم بأمره ..

وخيمة منصوبة ..

تضحكني الأعلام ، والأختام،

والممالك التركيبة ..

وسلطنات القش، والكرتون،

والشرائع العجيبة

ومشيخات النفط ..

والزواج بالمتعة ..

والغرائز المشبوبة ..

-7-

أمشي ..

غريب الوجه في غرناطة ..

أحتضن الأطفال،

والأشجار ..

والمآذن المقلوبة ..

فها هنا المرابطون رابطوا ..

وها هنا الموحدون استوزروا وخيموا ..

وها هنا ..

مجالس الشراب، والنساء،

والغيبوبة ..

وها هنا عباءة دامية ..

وها هنا .. مشنقة منصوبة ..

-8-

تناثري ..

كالورق اليابس، يا قبائل العروبة

واقتتلي ..

واختصمي ..

يا طبعة ثانية ..

من سيرة الأندلس المغلوبة ..

حوار مع ملك المغول

1

يا ملك المغول ..

يا وارث الجزمة والكرباج ..

عن جدّك أرطغولْ[22]..

يا من ترانا كلنّا خيولْ ..

تركبها ..

في زفة الأبواق والطبول

لا فرق- من نوافذ القصور-

بين الناس والخيولْ ..

---

[22] أرطغول في التاريخ هو أبو عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية.

2

يا ملك المغولْ ..

يا أيـها الغاضب من صهيلنـا ..

يا أيها الخائف من تفتّح الحقولْ ..

أريد أن أقول ..

من قبل أن يقتلني سيّافكم مسرورْ ..

وقبل أن يأتي شهود الزورْ ..

أريد أن أقول كلمتينْ ..

لزوجتي الحامل من شهورْ ..

وأصدقائي كلّهم ..

وشعبي المقهورْ ..

أريد أن أقول : إنّي شاعر ..

أحمل في حنجرتي عصفور ..

أرفض أن أبيعه ..

وأنتَ من حنجرتي ..

تريد أن تصادر العصفورْ ..

3

يا ملك المغولْ ..

يا قاهر الجيوش يا مدحرج الرؤوس ..

يا مدوّخ البحورْ ..

يا عاجن الحديد يا مفتت الصخور

يا آكل الأطفال ..

يا مغتصب الأبكار ..

يا مفترس العطور ..

واعجبي ! ...

واعجبي ! ..

أأنت ، والشرطة ، والجيش ..

على عصفور ؟؟؟ ...

إلى الجندي العربي المجهول [23]

1

لو يُقتَلونَ مثلما قُتلتْ ..

لو يعرفونَ أن يموتوا .. مثلما فعلتْ ..

لو مدمنو الكلامِ في بلادنا

قد بذلوا نصفَ الذي بذلتْ ..

لو أنـهم من خلفِ طاولاتـهمْ

قد خرجوا .. كما خرجتَ أنتْ ..

واحترقوا في لـهبِ المجدِ، كما احترقتْ ..

لم يسقطِ المسيحُ مذبوحاً ..

---

[23] في ذكرى الجنرال الذهبي رئيس الأركان المصري عبد المنعم رياض الذي استشهد على جبهة القتال في السويس 1969.

على ترابِ الناصرهْ ..

ولا استُبيحتْ تغلبٌ

وانكسرَ المناذرهْ ...

لو قرأوا ..

– يا سيّدي القائدَ وهم ينامون على صدور محظياتهم –

بعض الذي كتبتْ

2

لكنَّ مَن عرفتهمْ ..

ظلّوا على الحالِ الذي عرفتْ ..

يدخّنون،

يسكرونَ،

يقتلونَ الوقتْ ..

ويطعمونَ الشعبَ أوراقَ البلاغاتِ ـ كما علِمتْ ـ

وبعضهمْ .. يغوصُ في وحولهِ ..

وبعضهمْ ..

يغصُّ في بترولهِ ..

وبعضهمْ ..

قد أغلقَ البابَ على حريمهِ ..

ومنتهى نضالهِ ..

جاريةٌ في التختْ !! ..

3

يا أشرفَ القتلى،

على أجفاننا أزهرتْ

الخطوةُ الأولى إلى تحريرنا ..

أنتَ بها بدأتْ ..

يا أيّها الغارقُ في دمائهِ

جميعهم قد كذبوا ..

وأنتَ قد صدقتْ

جميعهم قد هُزموا ..

ووحدكَ انتصرتْ ...

طريق واحد

1

أريدُ بندقيّة ..

خاتمُ أمّي بعتهُ

من أجلِ بندقية

محفظتي رهنتُها

دفاتري رهنتها

من أجلِ بندقية ..

اللغةُ التي بها درسنا

الكتبُ التي بها قرأنا ..

قصائدُ الشعرِ التي حفظنا ..

ليست تساوي درهماً ..

أمامَ بندقية ..

2

أصبحَ عندي الآنَ بندقية ..

إلى فلسطينَ خذوني معكم

إلى ربىً حزينةٍ كوجهِ مجدليّة

إلى القبابِ الخضرِ.. والحجارةِ النبيّة

عشرونَ عاماً .. وأنا ..

أبحثُ عن أرضٍ .. وعن هويّة ..

أبحثُ عن بيتي الذي هناك

عن وطني المحاطِ بالأسلاك

أبحثُ عن طفولتي ..

وعن رفاق حارتي ..

عن كتبي .. عن صوري ..

عن كلِّ ركنٍ دافئٍ .. وكلِّ مزهريّة ..

3

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّة

إلى فلسطينَ خذوني معكم

يا أيّها الرجال ..

أريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرجال

أريدُ .. أن أنبتَ في ترابها

زيتونةً، أو حقلَ برتقال ..

أو زهرةً شذيّة ..

قولوا .. لمن يسألُ عن قضيّتي ..

بارودتي .. صارت هي القضيّة ..

4

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّة ..

أصبحتُ في قائمةِ الثوّار

أفترشُ الأشواكَ والغبار

وألبسُ المنيّة ..

مشيئةُ الأقدارِ لا تردُّني

أنا الذي أغيّرُ الأقدار ..

4

يا أيّها الثوار ..

في القدسِ، في الخليلِ،

في بيسانَ، في الأغوار ..

في بيتِ لحمٍ،

حيثُ كنتم أيّها الأحرار ..

تقدموا ...

تقدموا ..

فقصةُ السلام مسرحيّة ..

والعدلُ مسرحيّة ..

إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ

يمرُّ من فوهةِ بندقيّة ...

لصوص المتاحف

نسطو على متاحف التاريخ في الظلام

ونسرق الخيول ،

والدروع ،

والأعلام ..

نسرق سيف خالد ..

نسرق ديوان أبي تمام ..

ونسرق المجد الذي يخصهم

ونسرق الأيام ..

خير لنا أن ندفن السذاجة

ونترك التاريخ في الثلاجة ..

تعريف غير كلاسيكي للوطن

وطني !

يفهمك السذج ريحاناً وراح[24]

ويظنونك درويشاً يهز الرأس،

أو رقص سماح[25]

ويظنونك في غفلتهم

نغمة من بزق[26]..

---

[24] الراح : الكأس أو القدح.

[25] نوع من الرقص العربي. اختلف الباحثون حول منشئه، فقال البعض أنه فارسي وقال آخرون أنه أندلسي أو صوفي، ولكن الأرجح أنه رقص سوري نشأ في بلدة منبج القريبة من حلب. أصل الكلمة طلب "السماح" للبدء بالرقص من صاحب الدار أو رئيس الفرقة، أو ربما تحريف لكلمة "السماع" وهو مصطلح كان يطلق على الموسيقى. والسماح رقص حشمة وأدب، تؤديه مجموعة تحت قيادة رئيس الفرقة. ويقوم على خطوات لليمين أو الشمال، أو للأمام والوراء، مع "سكنات" موقعة متناوبة يتلوها "نقر" برأس القدم أو الكاحل مع بسط القدم للأمام أو رفعها أو نهز الجسم كله لفوق والنزول به ثم السكون في الموضع، أو دوران الجسم كاملاً أو نصف أو ربع دورة، إضافة إلى حركات انسيابية لليدين. ساهم كثير من الموسيقيين السوريين في إحياء رقص السماح وتطويره، ولعل أهمهم أبو خليل القباني وعلي الدرويش وعمر البطش.

[26] هي آلة موسيقية وترية تشبه العود ذات عنق طويل وجسم أصغر من العود. آلة البزق شبيهة بالساز التركي والبوزوكي اليوناني لكنها تختلف عنهم. تعتبر آلة البزق إحدى الآلات

وقناني عرق[27]..

ومواويل تغنى للصباح ..

وطني،

يا أيها الصدر المغطى بالجراح

وطني ..

مَن أنت؟ إن لم تنفجر

تحت إسرائيل صندوق سلاح ..

الموسيقية الرئيسية التي ركز الأخوان الرحباني استخدامهما عليها. آلة البزق لا تعتبر آلة تقليدية في الموسيقى العربية أو الموسيقى التركية لكنها تدخل ضمن آلات الموسيقى الغجرية في سورية ولبنان من أهم أعلامها الموسيقارعلي معلا الدركشلي.

[27] قنينات أو زجاجات من خمر العرق والعرق أو العرقي هو مشروب كحولي مقطر لا لون له محلى وغالباً ما يكون فيه يانسون. يتم صنعه في أغلبية الدول العربية في الشام والعراق ومصر ودول البحر المتوسط وإيران.ويصنع من العنب أو المولاس أو البرقوق أو التين أو الحبوب أو البطاطس أو الزبيب.

خطاب شخصي إلى شهر حزيران

1

كُنْ يا حُزيرانُ انفجاراً ..

في جماجِمنا القديمة ..

كنِّسْ ألوفَ المُفردات ..

وكنِّسِ الأمثالَ ، والحِكمَ القديمة

مزقْ شراشفنا التي اصفرتْ ..

مزق عباءتنا التي بليت ..

ومزقْ جلدَ أوجهِنا الدميمة ..

وكنِ التغيرَ ، والتطرفَ ،

والخروجَ على الخطوطِ المستقيمة ..

أطلقْ على الماضي الرصاصَ ..

كُنِ المسدس ..

والجريمة ..

من بعدِ موتِ الله مشْنوقاً ،

على باب المدينة ..

لمْ تبقَ للصلواتِ قيمة ..

لم يبقَ للإيمانِ .. أو للكفر قيمة ..

قصيدة اعتذار لأبي تمّام [28]

1

أحبّائي :

إذا جئنا لنحضرَ حفلةً للزّارِ ..

منها يضجرُ الضجرُ

إذا كانتْ طبولُ الشّعرِ .. يا سادَهْ

تفرّقنا .. وتجمعُنا

وتعطينا حبوبَ النومِ في فمِنا ..

وتسطُلُنا ..

وتكسرُنا ..

كما الأوراقُ في تشرينَ تنكسرُ

---

[28] ألقيت في مهرجان أبي تمام في الموصل، العراق، في كانون الأول (ديسمبر) 1971.

فإنّي سوفَ أعتذرُ ..

2

أحبّائي !

إذا كنّا سنرقصُ دونَ سيقانٍ .. كعادتِنا

ونخطبُ دونَ أسنانٍ .. كعادتِنا ..

ونؤمنُ دونَ إيمانٍ .. كعادتِنا ..

ونشنقُ كلَّ مَنْ جاءَوا إلى القاعهْ

على حبلٍ طويلٍ من بلاغتِنا ..

سأجمعُ كلَّ أوراقي ،

وأعتذرُ ...

3

إذا كنّا سنبقى أيّها السّادَهْ

ليومِ الدّينِ .. مختلفينَ حولَ كتابةِ الهمزهْ ..

وحولَ قصيدةٍ نُسبَتْ إلى عمرو بنِ كلثومٍ ...

إذا كنّا سنقرأُ مرّةً أخرى

قصائدَنا التي كنّا قرأناها ..

ونمضغُ مرّةً أخرى

حروفَ النصبِ والجرِّ .. التي كنّا مضغناها

إذا كنّا سنكذبُ مرّةً أخرى

ونخدعُ مرّةً أخرى الجماهيرَ التي كنّا خدعناها

ونُرعِدُ مرّةً أخرى .. ولا مَطَرُ ...

سأجمعُ كلَّ أوراقي ..

وأعتذرُ ..

4

إذا كنّا تلاقينا ..

لكي نتبادلَ الأنخابَ أو نَسْكَرْ ..

ونستلقي على تختٍ من الريحانِ والعنبرْ

إذا كنّا نظنُّ الشعرَ راقصةً .. مع الأفراحِ تُستأجَرْ

وفي الميلادِ .. والتأبينِ تُستأجرْ

ونتلوهُ كما نتلو كلامَ الزّيرِ أو عَنترْ

إذا كانتْ همومُ الشعرِ يا سادهْ

هي الترفيهُ عن معشوقةِ القيصرْ

ورشوةً كلِّ مَن في القصرِ من حَرسٍ ومن عسْكَرْ ..

إذا كنّا سنسرقُ خطبةَ الحجّاجِ ، والحجّاجَ ، والمنبرْ

ونذبحُ بعضنا بعضاً لنعرفَ مَن بنا أشْعَرْ ..

فأكبرُ شاعرٍ فينا هو الخنجرْ ...

5

أبا تمّام .. أينَ تكونُ ؟ .. أينَ حديثُكَ العَطِرُ ؟

وأينَ يدٌ مغامِرَةٌ

تسافرُ في مجاهيلٍ ، وتبتَكِرُ ؟ ..

أبا تمّام ..

أرملةٌ قصائدُنا .. وأرملةٌ كتابتُنا ..

وأرملةٌ هيَ الألفاظُ والصّورُ ..

فلا ماءٌ يسيلُ على دفاترِنا ..

ولا ريحٌ تهبُّ على مراكبِنا ..

ولا شمسٌ .. ولا قمَرُ

أبا تمّام .. دارَ الشعرُ دورتَهُ ..

وثارَ اللفظُ ، والقاموسُ ،

ثارَ البدوُ والحَضَرُ ..

وملَّ البحرُ زُرقتَهُ ..

وملَّ جذوعَهُ الشجرُ

ونحنُ هنا ..

كأهلِ الكهفِ .. لا عِلمٌ ولا خَبَرُ

فلا ثوّارُنا ثاروا ..

ولا شعراؤنا شَعَروا ..

أبا تمّام : لا تقرأ قصائدَنا ..

فكلُّ قصورِنا ورقٌ ..

وكلُّ دموعِنا حَجَرُ ..

6

أبا تمّام ..

إنَّ الشعرَ في أعماقِه .. سَفَرُ

وإبحارٌ إلى الآتي .. وكَشفٌ ليسَ ينتظرُ

ولكنّا .. جعلنا منهُ شيئاً .. يشبهُ الزَّفَّهْ

وإيقاعاً نحاسياً ، يدقُّ كأنّهُ القدَرُ ..

7

أميرَ الحرفِ سامِحنا ..

فقد خُنَّا جميعاً مهنةَ الحرفِ

وأرهقناهُ بالتشطيرِ ، والتربيعِ ، والتخميسِ ، والوَصفِ

أبا تمّام .. إنَّ النّارَ تأكلُنا

وما زِلنا نُجادِلُ بعضنا بعضاً ..

عن المصروفِ ، والممنوعِ من صَرْفِ ..

وجيشُ الغاصبِ المحتلِّ ممنوعٌ من الصرفِ !! ..

وما زلنا نُطَقْطِقُ عَظْمَ أرجُلنا

ونقعُدُ في بيوتِ اللهِ ننتظرُ ..

بأن يأتي الإمامُ عليٌّ .. أو يأتي لنا عُمَرُ

ولن يأتوا .. ولن يأتوا ..

فلا أحدٌ بسيفِ سواهُ ينتصرُ ..

8

أبا تمّام :

إنَّ الناسَ بالكلماتِ قد كَفروا

وبالشعراءِ قد كفروا ..

وبالصلواتِ ، والدعواتِ ، والأمواتِ ، والموتِ

وبالحربِ التي تأتي . ولا تأتي

فقُلْ لي أيّها الشاعرْ

لماذا شعرُنا العربيُّ قد يَبسَتْ مفاصلُهُ

منَ التكرارِ .. واصفرَّتْ سنابلُهُ

وقُلْ لي أيّها الشاعرْ

لماذا الشعرُ ـ حينَ يشيخُ ـ

لا يستلُّ سكّيناً .. وينتحِرُ ؟؟ ..

جمال عبد الناصر

1

قتلناكَ.. يا آخرَ الأنبياءْ

قتلناكَ..

ليسَ جديداً علينا

اغتيالُ الصحابةِ والأولياءْ

فكم من رسولٍ قتلنا ..

وكم من إمامٍ ..

ذبحناهُ وهوَ يصلّي صلاةَ العشاءْ ..

فتاريخُنا كلّهُ محنةٌ ..

وأيامُنا كلُّها كربلاءْ ...

2

نزلتَ علينا كتاباً جميلاً

ولكننا لا نجيدُ القراءهْ ..

وسافرتَ فينا لأرضِ البراءهْ ..

ولكننا .. ما قبلنا الرحيلا ..

تركناكَ في شمسِ سيناءَ وحدكْ ..

تكلّمُ ربكَ في الطورِ وحدكْ ..

وتعرى ..

وتشقى ..

وتعطشُ وحدكْ ..

ونحنُ هنا .. نجلسُ القرفصاءْ

نبيعُ الشعاراتِ للأغبياءْ

ونحشو الجماهيرَ تبناً .. وقشاً ..

ونتركهم يعلكونَ الهواءْ

3

قتلناكَ ..

يا جبلَ الكبرياءْ

وآخرَ قنديلِ زيتٍ ..

يضيءُ لنا في ليالي الشتاءْ

وآخرَ سيفٍ من القادسيهْ

قتلناكَ نحنُ بكلتا يدينا ..

وقُلنا : المنيَّهْ

لماذا قبلتَ المجيءَ إلينا ؟

فمثلُكَ كانَ كثيراً علينا ..

سقيناكَ سُمَّ العروبةِ حتى شبعتْ ..

رميناكَ في نارِ عمَّانَ حتى احترقتْ

أريناكَ غدرَ العروبةِ حتى كفرتْ

لماذا ظهرتَ بأرضِ النفاقْ ..

لماذا ظهرتْ ؟

فنحنُ شعوبٌ من الجاهليهْ

ونحنُ التقلّبُ ..

نحنُ التذبذبُ ..

والباطنيّهْ ..

نُبايعُ أربابنا في الصباح ..

ونـأكلُهم حينَ تـأتي العشيّهْ ..

4

قتلنـاكَ ..

يا حُبّنا وهوانـا

وكنتَ الصديقَ، وكنتَ الصدوقَ،

وكنتَ أبانـا ..

وحينَ غسلنـا يدينـا ..

اكتشفنـا

بأنّا قتلنـا مُنـانـا ..

وأنَّ دمـاءكَ فوقَ الوسـادةِ ..

كانتْ دِمانـا ..

نفضتَ غبارَ الدراويشِ عنّا ..

أعدتَ إلينا صِبانا

وسافرتَ فينا إلى المستحيل

وعلمتنا الزهوَ والعنفوانا ..

ولكننا ..

حينَ طالَ المسيرُ علينا

وطالتْ أظافرُنا .. ولِحانا ..

قتلنا الحِصانا ..

فتبّتْ يدانا ..

فتبّتْ يدانا ..

أتينا إليكَ بعاهاتنا ..

وأحقادِنا .. وانحرافاتنا ..

إلى أن ذبحنكَ ذبحاً

بسيفِ أسَانا

فليتكَ في أرضِنا ما ظهرتَ ..

وليتكَ كنتَ نبيَّ سِوانا ...

5

أبا خالدٍ[29].. يا قصيدةَ شعرٍ ..

تقالُ.

فيخضرُّ منها المدادْ ..

إلى أينَ ؟

يا فارسَ الحُلمِ تمضي ..

وما الشوطُ ، حينَ يموتُ الجوادْ ؟

---

[29] كنية عبد الناصر باسم ابنه البكر خالد.

إلى أينَ ؟

كلُّ الأساطيرِ ماتتْ ..

بموتكَ .. وانتحرتْ شهرزادْ ..

وراءَ الجنازةِ .. سارتْ قريشٌ

فهذا هشامٌ ..

وهذا زيادْ ..

وهذا يريقُ الدموعَ عليكْ

وخنجرهُ، تحتَ ثوبِ الحدادْ

وهذا يجاهدُ في نومهِ ..

وفي الصحوِ ..

يبكي عليهِ الجهادْ ..

وهذا يحاولُ بعدكَ مُلكاً ..

وبعدكَ ..

كلُّ الملوكِ رمادْ ..

وفودُ الخوارجِ .. جاءتْ جميعاً

لتنظمَ فيكَ ..

ملاحمَ عشقٍ ..

فمَن كفَّروكَ ..

ومَنْ خوَّنوكَ ..

ومَن صلبوكَ ببابِ دمشقْ ..

أُنادي عليكَ .. أبا خالدٍ

وأعرفُ أنّي أنادي بوادْ

وأعرفُ أنكَ لن تستجيبَ

وأنَّ الخوارقَ ليستْ تُعاد ...

الهَرَمُ الـرَابِع[30]

1

السيّدُ نامْ ..

السيّدُ نام ..

السيّدُ نامَ كنومِ السيفِ العائدِ من إحدى الغزواتْ

السيّدُ يرقدُ مثلَ الطفلِ الغافي .. في حُضنِ الغاباتْ

السيّدُ نامَ ..

وكيفَ أصدِّقُ أنَّ الهرمَ الرابعَ ماتْ ؟

القائدُ لم يذهبْ أبداً

بل دخلَ الغرفةَ كي يرتاحْ

وسيصحو حينَ تطلُّ الشمسُ ..

---

[30] في ذكرى الزعيم العربي جمال عبد الناصر.

كما يصحو عطرُ التفاحْ ..

الخبزُ سيأكلهُ معنا ..

وسيشربُ قهوتهُ معنا ..

ونقولُ لهُ ..

ويقولُ لنا ..

القائدُ يشعرُ بالإرهاق ..

فخلّوهُ يغفو ساعاتْ ..

2

يا مَن تبكونَ على ناصرْ ..

السيّدُ كانَ صديقَ الشمس ..

فكفّوا عن سكبِ العبراتْ ..

السيّد ما زالَ هُنا ..

يتمشّى فوقَ جسورِ النيلِ ..

ويجلسُ في ظلِّ النخلاتْ ..

ويزورُ الجيزةَ عندَ الفجرِ ..

ليلثمَ حجرَ الأهراماتْ.

يسألُ عن مصرَ .. ومَن في مصرَ ..

ويسقي أزهارَ الشرفاتْ ..

ويصلّي الجمعةَ والعيدينِ ..

ويقضي للناسِ الحاجاتْ

ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ ..

في طمي النيلِ، وزهرِ القطنِ ..

وفي أطواقِ الفلاحاتْ ..

في فرحِ الشعبِ ..

وحزنِ الشعب ..

وفي الأمثالِ وفي الكلماتْ ..

ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ ..

من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتْ ؟

3

يا مَن يتساءلُ: أينَ مضى عبدُ الناصرْ ؟

يا مَن يتساءلُ :

هلْ يأتي عبدُ الناصرْ ..

السيّدُ موجودٌ فينا ..

موجودٌ في أرغفةِ الخُبزِ ..

وفي أزهارِ أوانينا ..

مرسومٌ فوقَ نجومِ الصيفِ،

وفوقَ رمالِ شواطينا ..

موجودٌ في أوراقِ المصحفِ

في صلواتِ مُصلّينا ..

موجودٌ في كلماتِ الحبِّ ..

وفي أصواتِ مُغنّينا ..

موجودٌ في عرقِ العمّالِ ..

وفي أسوانَ.. وفي سينا ..

مكتوبٌ فوقَ بنادقنا ..

مكتوبٌ فوقَ تحدينا ..

السيّدُ نامَ .. وإن رجعتْ

أسرابُ الطيرِ ..

سيأتينا ..

رسالة إلى جمال عبد الناصر

1

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ:

عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ ..

من أرضِ مصرَ الطيبهْ

من ليلها المشغولِ بالفيروزِ والجواهرِ

ومن مقاهي سيّدي الحسين، من حدائق القناطرِ

ومن تُرعِ النيلِ التي تركتَها ..

حزينةَ الضفائرِ ..

عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ

من الملايينِ التي قد أدمنتْ هواكْ

من الملايين التي تريدُ أن تراكْ

عندي خطابٌ كلّهُ أشجانْ

لكنّني ..

لكنّني يا سيّدي

لا أعرفُ العنوانْ ...

2

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ

الزرعُ في الغيطان، والأولادُ في البلدْ

ومولدُ النبيِّ، والمآذنُ الزرقاءُ ..

والأجراسُ في يومِ الأحدْ ..

وهذهِ القاهرةُ التي غفَتْ ..

كزهرةٍ بيضاءَ .. في شعرِ الأَبَدْ ..

يسلّمونَ كلّهم عليكْ

يقبّلونَ كلّهم يديكْ ..

ويسألونَ عنكَ كلَّ قادمٍ إلى البلدْ

متى تعودُ للبلدْ؟ ...

3

حمائمُ الأزهرِ يا حبيبَنا .. تُهدي لكَ السلامْ

مُعدّياتُ النيلِ يا حبيبَنا .. تّهدي لكَ السلامْ ..

والقطنُ في الحقولِ، والنخيلُ، والغمامُ ..

جميعُها .. جميعُها .. تُهدي لكَ السلامْ ..

كرسيُّكَ المهجورُ في منشيّةِ البكريِّ ..

يبكي فارسَ الأحلامْ ..

والصبرُ لا صبرَ لهُ .. والنومُ لا ينامْ ..

وساعةُ الجدارِ .. من ذهولِها ..

ضيّعتِ الأيّامْ ..

يا مَن سكنتَ الوقتَ والتاريخَ والأيامْ

عندي خطابٌ عاجلٌ إليكَ ..

لكنّني ...

لكنّني يا سيّدي .. لا أجدُ الكلامْ

لا أجدُ الكلامْ ..

4

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ:

الحزنُ مرسومٌ على الغيومِ، والأشجارِ، والستائرِ

وأنتَ سافرتَ .. ولم تسافرِ ..

فأنتَ في رائحةِ الأرضِ، وفي تفتُّحِ الأزاهرِ ..

في صوتِ كلِّ موجةٍ، وصوتِ كلِّ طائرِ ..

في كتبِ الأطفالِ، في الحروفِ، والدفاترِ

في خضرةِ العيونِ، وارتعاشةِ الأساورِ ..

في صدرِ كلِّ مؤمنٍ، وسيفِ كلِّ ثائرِ ..

عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ ..

لكنّني ..

لكنّني يا سيّدي ..

تسحقُني مشاعري ..

5

يا أيُها المعلّمُ الكبيرْ

كم حزنُنا كبيرْ ..

كم جرحُنا كبيرْ ..

لكنّنا ..

نقسمُ باللهِ العليِّ القديرْ

أن نحبسَ الدموعَ في الأحداقْ ..

ونخنقَ العبرهْ ..

نقسمُ باللهِ العليِّ القديرْ ..

أن نحفظَ الميثاقْ ..

ونحفظَ الثورهْ ..

6

وعندما يسألُنا أولادُنا

من أنتمُ ؟

في أيِّ عصرٍ عشتمُ .. ؟

في عصرِ أيِّ مُلهمٍ ؟

في عصرِ أيِّ ساحرٍ ؟

نجيبُهم: في عصرِ عبدِ الناصرِ ..

الله .. ما أروعها شهادةً

أن يوجدَ الإنسانُ في عصرِ عبدِ الناصرِ

أن يوجدَ الإنسانُ في زمانِ عبدِ الناصرِ

1970 / 10 / 25

إليه في يوم ميلاده[31]

زمانـك بستـانٌ ..

وعصـركَ أخضرُ

وذكـراكَ ، عصـفورٌ مـن القلب ينقرُ

ملأنا لك الأقــداحَ ،

يا مــن بحُبّـه سكِرنا ،

كما الصـوفىّ بالله يســكرُ

دخلت على تاريخنـــا ذات ليلـــةٍ

فرائحــةُ التاريــخ مسكٌ وعنبــرُ

وكنتَ ،

فكـانت فى الحقــول سنابلٌ

[31] بمناسبة عيد الطفولة وهو عيد ميلاد الرئيس والزعيم الخالد جمال عبد النـاصر الموافق 15 ينـاير 1918. ألقيت هذه القصيدة في كانون الثانـي (ينـاير) 1971.

وكانت عصــافيرٌ ..

وكان صــنوبرُ

لمسْتَ أمانينــا ،

فصــارتْ جداولاً وأمطــرتنا حبّـا ،

ولا زلتَ تمطــرُ

تأخّــرت عن وعــد الهوى يا حبيبنا

وما كنت عن وعــد الهــوى تتأخرُ

سَهِدْنا ..

وفكّــرنا ..

وشاخت دموعنــا

وشابت ليالينــا ،

وما كنت تحضــُرُ

تعاودنـــى ذكــراك كلّ عشيّــةٍ

ويورق فكـــرى حين فيــك أفكّر ..

وتأبى جراحـــى أن تضــمّ شفاهها

كأن جـراح الحــبّ لا تتخثّـــرُ

أحبّك لا تفسيــر عنــدى لصَبْوتـى

أفسّر ماذا ؟ والهـــوى لا يُفسّــر

تأخرت يا أغلـى الرجـــال ،

فليلنــا طويــل ،

وأضــواء القناديـل تسهرُ

تأخّــرت ..

فالسـاعات تـأكل نفسهـا

وأيامنا فــى بعضهـــا تتعثّــرُ

أتسأل عن أعمـــارنـا ؟

أنت عمــرنا وأنت لنا المهــدىّ ..

أنت المحــرّرُ

وأنت أبو الثــورات ،

أنت وقـودهـا وأنت انبعـاث الأرض،

أنت التغيّــرُ

تضيق قبـور الميتيــن بمــن بهـا

وفى كل يــوم أنت فــى القبر تكبرُ

تأخــرت عنّا .. فالجيــاد حـزينـة

وسيفك مـن أشـواقه ، كـاد يكفـــرُ

حصانـك فـى سينــاء يشـرب دمعَهُ

ويا لعــذاب الخيــل ، إذ تتـذكّرُ

ورايـاتك الخضــراء تمضــغ دربها

وفـوقك آلاف الأكاليــل تُضــْفَرُ

تأخــرت عنا ..

فالمسيــح معذّبٌ هنـاك ،

وجــرح المجــدلية أحمرُ ..

نساء فلسطيـنٍ تكحّلـن بالأســـى

وفى بيت لحــمٍ قاصـراتٌ .. وقصّرُ

وليمونُ يـافـا يـابسٌ فـى حقولـــهِ

وهل شجــرٌ فى قبضــة الظلم يُزهرُ ؟

رفيق صــلاح الدين .. هل لك عودةٌ

فإن جيـوش الــروم تنـهــى وتأمرُ

رفاقك فى الأغــوار شـدّوا سُروجَهم

وجنـدك فى حِطّين ، صلّوا .. وكبّروا ..

تُغنّـى بـك الدّنيــا ..

كأنك طـارقٌ على بـركات الله ،

يرســو .. ويُبحرُ

تناديـك من شــوقٍ مـآذنُ مكّــةٍ

وتبكيـك بَــدرٌ ، يا حبيبـى ، وخيبرُ

ويبكيـك صـفصاف الشــام ووردها

ويبكيـك زهـرُ الغـوطتين ، ودُمَّــرُ

تعال إلينــا ..

فالمــروءات أطرقتْ

وموطــن آبائــى زجـاج مكسّرُ ..

هزمنــا .. ومـا زلنـا شِتـاتَ قبائـلِ

تعيشُ على الحقــد الدفيــن وتثـأرُ

رفيق صــلاح الدين .. هل لك عـودةٌ

فإن جيوش الــروم تنهى ، وتأمرُ

يحاصــرنا كالمــوت ألفُ خليفــةً

ففى الشرق هولاكو .. وفى الغرب قيصرُ

أبا خالـد أشكـو إليــك مـواجعـى

ومثلــى له عــذرٌ .. ومثلك يعـذرُ

أنـا شجــرُ الأحــزان ، أنـزفُ دائماً

وفى الثلـج والأنـواءِ .. أعطـى وأُثمرُ

يثيـرُ حــزيـرانٌ جنونـى ونقْمتَـى

فأغتال أوثانـــى .. وأبكـى .. وأكفـرُ

وأذبــح أهلَ الكـهف فـوق فراشهم جميعاً ،

ومن بـوّابـة المــوت أعبرُ

وأتـرك خلفــى نـاقتـى وعباءتــى وأمشى ..

أنـا فى رَقَبــة الشمس خِنجرُ

وأصـرخُ : يا أرض الخرافاتِ ..

احْبلى لعلّ مسيحــاً ثانيـاً .. سوف يظهرُ ..

إفادة في محكمة الشعر [32]

مرحباً يا عراقُ ، جئتُ أغنّيكَ

وبعضٌ من الغنـاءِ بكـاءُ

مرحباً، مرحباً.. أتعرفُ وجهاً

حفـرتهُ الأيّـامُ والأنـواءُ ؟

أكلَ الحبُّ من حشـاشـةِ قلبي

والبقايا تقاسمتـها النسـاءُ

كلُّ أحبابي القدامى نسَـوني

لا نُوارَ تجيـبُ أو عفـراءُ

فالشـفاهُ المـطيّبـاتُ رمـادٌ

وخيامُ الهوى رماها الـهواءُ

---

[32] ألقيت في مهرجان الشعر التاسع ببغداد عام 1969

سـكنَ الـحزنُ كالعصافيرِ قلبـي

فالأسى خمرةٌ وقلبي الإنــاءُ

أنـا جـرحٌ يمشــي على قدميهِ

وخيـولـي قد هدَّها الإعياءُ

فجراحُ الحسينِ بعضُ جراحـي

وبصدري من الأسى كربلاءُ ...

وأنـا الحزنُ من زمانٍ صديقي

وقليـلٌ في عصرنـا الأصدقاءُ

مرحباً يا عراقُ، كيفَ العباءاتُ

وكيفَ المها.. وكيفَ الظباءُ ؟

مرحباً يا عراقُ ... هل نسيَتني

بعدَ طولِ السنينِ سامـرّاءُ ؟

مرحباً يا جسورُ يا نخلُ يا نـهرُ

وأهلاً يا عشـبُ ... يا أفياءُ

كيفَ أحبابُنا على ضفةِ النـهرِ

وكيفَ البسـاطُ والنـدماءُ ؟

كان عنـدي هـنـا أميرةُ حـبٍّ

ثم ضاعت أميرتي الحسـناءُ

أينَ وجـهٌ في الأعظميّةِ حلـوٌ

لو رأتهُ تغارُ منـهُ السـماءُ ؟

إنني السـندبادُ ... مزّقهُ البحـرُ

و عـينا حـبيبتي المـينـاءُ

مضغَ الموجُ مركبي ... و جبيني

ثقبتهُ العواصـفُ الـهـوجاءُ

إنَّ في داخلي عصوراً من الحزنِ

فهل لي إلى العراق التجاءُ ؟

و أنا العاشقُ الكبيرُ ... ولكن

ليس تكفي دفاتري الزرقاءُ

يا حزيرانُ.ما الذي فعلَ الشعرُ ؟

وما الذي أعطى لنا الشعراءُ ؟

الدواوينُ في يدينا طروحٌ

والتعابيرُ كلُّها إنشاءُ

كلُّ عامٍ نأتي لسوق عُكاظٍ

وعلينا العمائمُ الخضراءُ

ونهزُّ الرؤوسَ مثل الدراويشِ

و بالنار تكتوي سيناءُ ...

كلُّ عامٍ نأتي ... فهذا جريرٌ

يتغنّى .. وهذهِ الخنساءُ

لم نزَل ، لم نزَل نمصمصُ قشراً

وفلسطينُ خضّبتها الدماءُ

سقطت في الوحول كل الفصاحات

ومات الخليل والفرّاءُ ..

يا حزيرانُ ... أنتَ أكبرُ منّا

وأبٌ أنتَ ما لهُ أبناءُ

لو ملكنا بقيّةً من إباءٍ

لانتخينا[33].. لكننا جبناءُ

يا عصورَ المعلّقاتِ مللنا ...

ومن الجسمِ قد يملُّ الرداءُ

نصفُ أشعارنا نقوشٌ .. وماذا

[33] انتخى من النخوة وهو بمعنى تكبر وتعظم في الحرب.حركته النخوة .

ينفعُ النقشُ حين يهوي البنـاءُ ؟

المـقاماتُ لعبةٌ ... والحريـريُّ

حشيشٌ .. والغولُ .. والعنقاءُ

ذبحتنا الفسيفسـاءُ عصوراً

والدُّمى .. والزخارفُ البلـهاءُ

نرفـضُ الشعرَ كيمياءً وسحراً

قتلتنا القصيـدةُ الكيـمياءُ

نرفـضُ الشعرَ مسـرحاً ملكياً

من كراسيهِ يُحرَمُ البسـطاءُ

نرفـضُ الشعرَ أن يكونَ حصاناً

يمتطيـهِ الطـغاةُ والأقـوياءُ

نرفـضُ الشعرَ عتمـةً ورموزاً

كيف تستطيعُ أن ترى الظلماءُ ؟

نرفـضُ الشعرَ أرنبـاً خشـبيّاً

لا طمـوحَ لـهُ ولا أهـواءُ

نرفضُ الشعرَ في قهوةِ الشـعر ..

دخـانٌ أيّامـهم .. وارتخـاءُ

شِعرُنـا اليومَ يحفرُ الشمسَ حفراً

بيديـهِ .. فكلُّ شــيءٍ مُـضاءُ

شِـعرنـا اليومَ هجمةٌ واكتشـافٌ

لا خطوطٌ كوفيّـةٌ ، وحِداءُ ..

كلُّ شِعـرٍ معاصـرٍ .. ليـسَ فيـهِ

غضبُ العصرِ نملـةٌ عـرجاءُ

مـا هوَ الشِعـرُ ؟ ... إن غدا بـهلوانـاً

يتسـلّى برقصـهِ الخُـلفاءُ

ما هو الشِعرُ ؟ ... حينَ يصبحُ فأراً

كِسـرةُ الخبزِ ـ هَمُّهُـ والغِذاءُ

و إذا أصـبحَ المفكِّـرُ بُـوقـاً

يستوي الفكرُ عندها والحذاءُ ...

يُصلبُ الأنبياءُ مـن أجـل رأيٍ

فلماذا لا يُصلبَ الشعـراءُ ؟

الفدائـيُّ وحـدهُ .. يكتـبُ الشـعرَ

و كـلُّ الذي كتبناهُ هـراءُ ..

إنّهُ الكاتـبُ الحقيقـيُّ للعصـرِ

ونـحنُ الحُجَّابُ والأجـراءُ

عنـدما تبـدأُ البنـادقُ بالعزفِ

تمـوتُ القصـائدُ العصـماءُ ..

مـا لنـا ؟ ما لنـا .. نلـومُ حزيـرانَ

و في الإثمِ كلُّنا شـركاءُ ؟

من هـم الأبرياءُ ؟؟ نحنُ جميـعاً

حامـلو عارهِ .. ولا اسـتثنـاءُ

عقلُنا ، فكـرُنا ، هـزالُ أغانينا ..

رؤانـا، أقوالُـنا الجـوفـاءُ

نثرُنـا، شعرُنـا، جرائدُنا الصـفراءُ ..

والحـبرُ والحـروفُ الإمـاءُ

البطـولاتُ موقـفٌ مسـرحيٌّ

ووجـوهُ الممثلـينَ طـلاءُ

و فلسـطينُ بينـهـم كـمـزادٍ

كلُّ شـارٍ يزيدُ حين يشـاءُ

وحـدويّون !! و البـلادُ شـظايا

كـلُّ جزءٍ من لحمها أجزاءُ

مـاركسـيّونَ !! والجمـاهـيرُ تشقى

فلمـاذا لا يشبـعُ الفقـراءُ ؟

قرشـيّونَ !! لـو رأتهـم قريـشٌ

لاستجارت من رملِها البيداءُ

لا يمـينٌ يجيـرُنـا أو يســارٌ

تحتَ حدِّ السكينِ نحنُ سواءُ

لو قرأنـا التاريـخَ .. مـا ضاعتِ القدسُ

وضاعت من قبـلها "الحمـراءُ"[34] ...

يا فلسـطينُ ، لا تزالينَ عطشى

وعلى النفطِ نامتِ الصحـراءُ

العباءاتُ .. كـلُّها مـن حـريـرٍ

---

[34] قصر الحمراء هو قصر أثري وحصن انتهى بناؤه في عصر بني الأحمر حكام غرناطة المسلمين في الأندلس بعد سقوط دولة الموحدين.

والليالي رخيصةٌ حمراءُ ..

يا فلسطينُ، لا تنادي عليهم

قد تساوى الأمواتُ والأحياءُ

قتلَ النفطُ ما بهم من سجايا

ولقد يقتلُ الثريَّ الثراءُ

يا فلسطينُ ، لا تنادي قريشاً

فقريشٌ ماتت بها الخيَلاءُ

لا تنادي الرجالَ من عبدِ شمسٍ

لا تنادي .. لم يبقَ إلا النساءُ ..

ذروةُ الذلِ أن تموتَ المروءاتُ

ويمشي إلى الوراءِ الوراءُ ...

مرَّ عامانِ .. والغزاةُ مقيمونَ

و تاريـخُ أمـتي ... أشـلاءُ

مـرَّ عامانِ .. والمسـيحُ أسـيرٌ

في يديهم .. و مـريمُ العـذراءُ ..

مـرَّ عامـانِ ... والمآذنُ تبكـي

و النواقيـسُ كلُّها خرسـاءُ

أيُّها الراكعونَ في معبدِ الحـرفِ

كـفانا الـدوارُ والإغـماءُ

مزِّقوا جُبَّـةَ الدراويـشِ عـنكم

واخلعوا الصوفَ أيُّها الأتقياءُ

أتـركـوا أولياءَنـا بـسـلامٍ

أيُّ أرضٍ أعادها الأولياءُ ؟

في فمي يا عراقُ .. مـاءٌ كـثيرٌ

كيفَ يشكو مَن كانَ في فيهِ ماءُ ؟

زعمـوا أنني طـعنتُ بـلادي

وأنـا الحـبُّ كـلُّهُ والـوفاءُ

أيريدونَ أن أمُـصَّ نـزيفـي ؟

لا جـدارٌ أنـا .. و لا ببـغاءُ !

أنــا حريَّتي ... فإن سـرقـوها

تسقطِ الأرضُ كلُّها والسماءُ

مـا احـترفتُ النِّفاقَ يوماً .. وشِعري

مــا اشتــراهُ المـلـوكُ والأمراءُ

كـلُّ حـرفٍ كتبتهُ .. كانَ سـيفاً

عـربيّاً يشـعُّ منـهُ الضـياءُ

و قـليـلٌ مِنَ الكـلامِ نَـقِـيٌّ

وكـثيرٌ من الكـلامِ بغـاءُ ...

كم أُعـاني مِمَّا كَتَبْـتُ عـذاباً

ويعاني في شـرقنا الشـرفاءُ

وجعُ الحرفِ رائـعٌ .. أوَ تشـكو

للـبسـاتينِ وردةٌ حمـراءُ ؟

كلُّ من قاتلوا بحرفٍ شـجاعٍ

ثم ماتـوا .. فإنــهم شهداءُ

لا تعاقب يا ربِّ مَن رجموني

واعفُ عنهم لأنّــهم جهلاءُ

إن حبّي للأرضِ حـبٌّ بصيرٌ

وهواهم عواطـفٌ عمياءُ

إن أكُن قد كَوَيْـتُ لحمَ بلادي

فمِن الكَيِّ .. قد يجـيءُ الشفاءُ

مِن بحـارِ الأسى ، وليلِ اليتامى

تطلـعُ الآنَ زهـرةٌ بيضاءُ

من شحوب الخريفِ ، من وجعِ الأرضِ

تلوح السنـابلُ الخضراءُ

و يطلُّ الفـداءُ شـمساً عـلينـا

مـا عسانـا نكونُ .. لولا الفداءُ

من جـراحِ المنـاضلينَ ... وُلدنـا

ومنَ الجرحِ تولدُ الكـبرياءُ

قبلَهُم ؟ لم يكـن هـنـاكَ قبـلٌ

ابتداءُ التـاريخِ من يومِ جاؤوا ...

هبطـوا فـوقَ أرضـنـا أنبياءً

بعد أن ماتَ عندنـا الأنـبياءُ

أنقذوا مـاءَ وجهنـا يـومَ لاحوا

فأضاءت وجوهُنا السوداءُ

منحونا إلى الحياةِ جوازاً

لم تكُن قبلَهم لنا أسماءُ

أصدقاءُ الحروفِ .. لا تعذلوني

إن تفجّرتُ أيُّها الأصدقاءُ

إنني أخزنُ الرعودَ بصدري

مثلما يخزنُ الرعودَ الشتاءُ

أنا ما جئتُ كي أكونَ خطيباً

فبلادي أضاعَها الخُطباءُ

إنني رافضٌ زماني وعصري

ومن الرفضِ تولدُ الأشياءُ

أصدقائي : حكيتُ ما ليسَ يُحكى

و شفيعي ... طفولتي والنقاءُ ..

إنـني قـادمٌ إليكـم ... و قلبـي

فـوقَ كـفّي حمامـةٌ بيضـاءُ

إفهموني ... فما أنا غيرُ طفلٍ

فـوقَ عينيهِ يسـتحمُّ المـساءُ

أنـا لا أعـرفُ ازدواجيّةَ الفكـرِ

فنفسـي .. بحـيرةٌ زرقـاءُ ..

لبلادي شـعري .. ولسـتُ أبالي

رفضتهُ أم باركتـهُ السـماءُ ..

من مفكرة عاشق دمشقي [35]

فرشتُ فوقَ ثراكِ الطاهرِ الـهُدُبَـا

فيا دمشـقُ ... لماذا نبـدأ العتبـا ؟

حبيبتي أنـتِ ... فاستلقي كأغنيـةٍ

على ذراعي، ولا تستوضحي السببا

أنتِ النساءُ جميعاً .. ما من امـرأةٍ

أحببتُ بعدك .. إلا خلتُها كـذبا

يا شامُ، إنَّ جراحي لا ضفافَ لـها

[35] ألقيت في مهرجان الشعر بدمشق في كانون الأول (ديسمبر) 1971.

فمَسِّحي عن جبيني الحزنَ والتعبا

وأرجعيني إلى أسوارِ مدرستي

وأرجعيني الحبرَ والطبشورَ والكتبا

تلكَ الزواريبُ[36] كم كنزٍ طمرتُ بها

وكم تركتُ عليها ذكرياتِ صبا

وكم رسمتُ على جدرانِها صوراً

وكم كسرتُ على أدراجها[37] لُعبا

---

[36] جمع زاروب وهي الأزقة وتفرعات الحارات الدمشقية الكثيرة والمتشعبة.التي يسميها أهل دمشق "محل ما ضيع القرد ابنه" ونسميها في مصر "بيت جحا".

[37] أي درجات سلالمها الحجرية.

أتيتُ من رحمِ الأحزانِ ... يا وطني

أقبّلُ الأرضَ والأبـوابَ والشّـهبا

حُبّي هنا .. وحبيباتي وُلِـدنَ هنا

فمَـن يعيـدُ ليَ العُمرَ الذي ذهبا ؟

أنا قبيلـةُ عُشّـاقٍ بكامـلـها

ومِن دموعي سَقيتُ البحرَ والسّحُبا

فكُـلُّ صفصافـةٍ حَّولتُها امـرأةً

و كُلُّ مئذنـةٍ رصّـعتُها ذهـبا ..

هـذي البساتـينُ كانت بينَ أمتعتي

لما ارتحلـتُ عـن الفيحـاءِ مُغتربا

فلا قميصَ مِن القمصـانِ ألبسـهُ

إلا وَجـدتُ على خِيطانـهِ عنبا

كـم مُبحـرٍ .. وهمومُ البَرِّ تسكنهُ

وهاربٍ مِن قضاءِ الحبِّ ما هـربا

يا شـامُ، أيـنَ هما عينا معاويةٍ

وأيـنَ مَن زحموا بالمنكـبِ الشُّهبا

فلا خيـولُ بنـي حمـدانَ راقصـةٌ

زُهـواً ... ولا المتنبّي مالئٌ حَـلَـبَا

وقبـرُ خالدَ في حـمصٍ نلامسـهُ

فـيرجفُ القبـرُ من زوّارهِ غـضبا

يا رُبَّ حـيٍّ .. رخامُ القبرِ مَسكنـهُ

ورُبَّ مَيّتٍ .. على أقدامـهِ انتصـبا

يا ابنَ الوليـدِ .. ألا سيـفٌ تؤجّرهُ ؟

فكُلُّ أسيافنـا قد أصبحـت خشـبا !!

دمشـقُ، يا كنزَ أحلامي ومروحتي

أشكو العروبةَ أم أشكو لكِ العربا ؟

أدْمَـتْ سياطُ حزيرانَ ظهورهم

فأدمنوها .. وباسوا كَفَّ مَن ضربا

وطالعوا كتبَ التاريخ .. واقتنعوا

متى البنـادقُ كانت تَسكنُ الكتبا ؟

سقـوا فلسطـينَ أحلاماً ملوّنـةً

وأطعموها سخيفَ القولِ والخطبا

عاشوا على هامش الأحداث ، ما انتفضوا

للأرض منهوبة ، والعِرض مُغتـَصَبا

وخلّفوا القدسَ فوقَ الوحلِ عاريةً

تبيحُ عِزّةً نهديها لِمَن رَغِبا ..

هل من فلسطينَ مكتوبٌ يُطمئنني

عمّن كتبتُ إليهِ .. وهوَ ما كتبا ؟

وعن بساتينَ ليمونٍ، وعن حلمٍ

يزدادُ عنّي ابتعاداً .. كلّما اقتربا

أيا فلسطينُ .. مَن يهديكِ زنبقةً ؟

ومَن يعيدُ لكِ البيتَ الذي خُربا ؟

شردتِ فوقَ رصيفِ الدمعِ باحثةً

عن الحنانِ، ولكن ما وجدتِ أبا..

تـلَـقّـتِي... تجـدِينا في مَـباذِلنا ..

مَن يعبدُ الجنسَ، أو مَن يعبدُ الذهبا

فواحـدٌ أعْمَـتِ النُعمَى بصيرتَهُ

فللخــَنـَى والغواني كُـلُّ ما وُهِبا ..

وواحدٌ ببحـارِ النفـطِ مغتسـلٌ

قد ضاقَ بالخيشِ ثوباً فارتدى القصبا

وواحـدٌ .. نرجسـيٌّ في سـريرتـهِ

وواحـدٌ .. مِن دمِ الأحرارِ قد شربا

إن كانَ مَن ذبحوا التاريخَ .. هم نسبي

على العصـورِ .. فإنّي أرفضُ النسبا ..

يا شامُ، يا شامُ، ما في جعبتي طربٌ

أستـغفرُ الشـعرَ أن يستجديَ الطربا

مـاذا سأقرأُ مـن شعري ومن أدبي ؟

حوافرُ الخيلِ داسـت عندنا الأدبا

وحاصرتنا .. وآذتنـا .. فلا قلـمٌ

قالَ الحقيقةَ إلا اغتيـلَ أو صُـلبا

يا من يعاتبُ مذبوحـاً .. على دمـهِ

ونزفِ شريانـهِ، ما أسهـلَ العتبا

مَن جرّبَ الكيَّ لا ينسـى مواجعهُ

ومَن رأى السمَّ لا يشقى كمَن شربا

حبلُ الفجيعةِ ملتفٌّ علـى عنقي

مَن ذا يعاتبُ مشنوقاً إذا اضطربا ؟

الشعرُ ليـسَ حمامـاتٍ نـُطيّرها

نحوَ السماءِ، ولا نـَاياً .. وريحَ صَبا

لكنّهُ غضبٌ طالت أظافرهُ

ما أجبنَ الشعرَ إن لم يركبِ الغضبا ..

ترصيع بالذهب على سيف دمشقي

أتراها تحبني ميسـون..؟

أم توهمت .. والنساء ظنون

كم رسول أرسلته لأبيـها

ذبحته تحت النقاب العيونُ

يا ابنـة العمّ ... والـهوى أمويٌ

كيف أخفي الـهوى وكيف أبين

كم قُتلنا في عشقنا وبعثنا

بعد موت وما علينا يمينُ

ما وقوفي في الديار وقلبي

كجبيني قد طرزته الغصونُ

لا ظباء الحمى رَدَدْنَ سلامي

والخلاخيلُ ما لهنَّ رنين

هل مرايا دمشق تعرف وجهي

من جديد أم غيّرتني السنينُ؟

يا زماناً في الصالحية سمحاً

أين مني الغِوى وأين الفتونُ؟

يا سريري.. ويا شراشف أمي

يا عصافير.. يا شذا، يا غصون

يا زواريب حارتي .. خبئني

بين جفنيك فالزمان ضنين

واعذريني إن بدوت حزيناً

إن وجه المحب وجه حزين

ها هي الشام بعد فرقة دهر

أنـهرٌ سبعـة .. وحـورٌ عين

النوافير في البيوت كلامٌ

والعنـاقيد سكرٌ مطحونُ

والسمـاءُ الزرقاءُ دفتر شعر

والحروف التي عليـه .. سنونو ..

هل دمشق كما يقولونَ كانَتْ

حين في الليل فكَّرَ اليـاسمين ؟

آه يا شام .. كيف أشرح ما بي

وأنا فيـكِ دائمـاً مسكونُ

سامحيني إن لم أكاشفك بالعشق

فأحلى ما في الهوى التضمين

نحن أسرى معاً .. وفي قفص الحب

يعاني السجانُ والمسجونُ

يا دمشقُ التي تقمصتُ فيها

هل أنا السروُ .. أم أنا الشربينُ ؟

أم أنا الفلُّ قي أباريق أمّي

أم أنا العشبُ والسحابُ الهَتون ؟

أم أنا القطة الأثيرةُ في الدار

تلبي إذا دعاها الحنينُ ؟

يا دمشق التي تفشى شذاها

تحت جلدي كأنه الزيزفونُ

يا دمشق التي تفشّى شذاها

تحت جلدي .. كأنه الزيزفونُ

سامحيني إذا اضطربت فإني

لا مقفّىً حبي .. ولا موزونُ

وازرعيني تحت الضفائر مشطاً

فأُريكِ الغرام كيفَ يكونُ ..

قادمٌ من مدائن الريح وحدي

فاحتضِنِي ،كالطفل، يا قاسيونُ[38]

احتَضنّي .. ولا تناقش جنوني

ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ

---

[38] قاسيون هو جبل يطل على مدينة دمشق عاصمة سوريا، يعتبر جبل قاسيون امتدادا جغرافيا للسلاسل الجبال السورية الغربية. مثل المقطم عندنا في القاهرة بمصر.

احتَضنّي .. خمسين ألفاً وألفاً

فمع الضم لا يجوزُ السكونُ ..

أهي مجنونة بشوقي إليها ...

هذه الشام، أم أنا المجنون ؟

حاملُ حبها ثلاثين قرناً

فوق ظهري وما هناكَ معينُ

كلمّا جئتُها أردّ دُيُوني

للجميلات .. حاصَرَتني الديونُ

إن تخلت كل المقادير عني

فبعيـني حبيبتي أستعيـنُ

يا إلـهي جعلتَ عشقيَ بَحراً

أحرامٌ على البحار السكونُ ؟

يا إلـهي هل الكتابة جرحٌ

ليس يُشفى أم ماردٌ ملعونُ ؟

كم أعاني في الشعر موتاً جميلاً

وتُعاني من الرياح السفينُ

جاء تشرين يا حبيبة عمري

أحسن وقت للهوى تشرين

ولنا موعد على جبل الشيخ[39]

كم الثلج دافئ .. وحنونُ

---

[39] جبل الشيخ أو جبل حرمون هو جبل يقع في سوريا ولبنان. يمتد من بانياس وسهل الحولة في الجنوب الغربي إلى وادي القرن ومجاز وادي الحرير في الشمال الشرقي وهو بذلك يشكل القسم الأكبر والأهم والأعلى من سلسلة جبال لبنان الشرقية التي تمتد بين سوريا ولبنان.
يحدّه من الشرق والجنوب منطقة وادي العجم وإقليم البلان وهضبة الجولان في سوريا، ومن الشمال والغرب القسم الجنوبي من سهل البقاع ووادي التيم في لبنان. فيه ثلاث قمم الأولى في الشرق وتعلو 2145م والثانية في الغرب وتعلو 2294م والثالثة، تسمى شارة الحرمون وهي الأعلى وتعلو 2814م.ويقع جبل الشيخ داخل الجولان السوري المحتل من قبل الصهاينة.

لم أعانقك من زمان طويل

لم أحدّثك . والحديثُ شجونُ

لم أغازلك .. والتغزلُ بعضي

للهوى دينُهُ .. وللسيف دينُ

سنوات سبعِ من الحزن مرت

مات فيها الصفصاف والزيتون

سنواتٌ فيها استقلتُ من الحب

وجفت على شفاهي اللحونُ

سنواتٌ سبعُ بها اغتالَنا اليأسُ

وعِلْمُ الكلام .. واليانسونُ ..

فانقسمنا قبائلاً .. وشعوباً

واستبيحَ الحِمَى وضاعَ العرينُ

كيف أهواكِ حينَ حول سريري

يتمشّى اليهودُ والطاعونُ ؟

كيف أهواكِ ؟ والحمى مُستباحٌ

هل من السهل أن يحبَّ السجينُ ؟

لا تقولي : نسيتَ .. لم أنس شيئاً

كيف تنسى أهدابهنَّ الجفونُ ؟

غير أن الهوى يصيرُ ذليلاً

كلما ذلَّ للرجال جَبينُ ..

شام .. يا شام .. يا أميرة حبي

كيف ينسى غرامه المجنون ؟

أوقدي النارَ .. فالحديث طويلُ

وطويلُ لمن نحب الحنينُ

شمس غرناطة أطلت علينا

بعد يأس وزغردت ميسلون[40]

جاء تشرين .. إن وجهك أحلى

بكثير ... ما سره تشرينُ ؟

كيف صارت سنابلُ القمح أعلى ؟

---

[40]خان ميسلون : ميسلون هي منطقة في الجبال بالقرب من دمشق في سورية ، وفيها خان واستراحة ومحطة للمسافرين كانت على طريق العربات القديم الذي يربط ما بين دمشق وبيروت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . يوجد في ميسلون استراحة وهو الخان المعروف بخان ميسلون وهو الاستراحة الأولى للمسافرين من دمشق أو للقادمين من بيروت في عربات السفر القديمة التي تجرها الخيل أو على ظهور الخيل. اشتهرت المنطقة بمعركة شهيرة : معركة ميسلون ، وهي معركة بين القوات السورية بقيادة وزير الحربية السوري البطل يوسف العظمة وبين القوات الفرنسية بقيادة هنري غورو في 20 يوليو 1920 دافع فيها البطل يوسف العظمة وزير الحربية ومن معه من الأبطال المجاهدين المتطوعين بشجاعة عن وطنهم ، ويوجد في ميسلون نصب تذكاري يخلد شهداء معركة ميسلون .وتعتبر معركة ميسلون معركة عزة وكرامة خاضها البطل يوسف العظمة الذي كان يعلم أن جيشه المتواضع جداً بمواجهة الجيش الجرار الذي كان يقوده غورو والمزود بطائرات ودبابات ومدافع وإمدادت لن يصمد طويلاً لكنه رفض أن يحتل الفرنسيون بلده دون قتال فتبقى وصمة عار في التاريخ، فكانت معركة ميسلون والتي قاوم فيها الجيش ببسالة معركة عزة وكرامة.

كيف صارت عيناك بيت السنونو ؟

إن أرض الجولان تشبه عينيك

فماءٌ يجري .. ولـوز .. وتيـنُ ..

كلُّ جرحٍ فيها .. حديقة ورد

وربيعٌ .. ولؤلؤ مكنونُ

يا دمشق البسي دموعي سواراً

وتمنّي .. فكلُّ صعب يهونُ

وضعي طَرحَةَ العروس لأجلي

إنَّ مَـهْرَ المُنـاضلات ثمينُ

رضـيَ اللهُ والرسولُ عن الشام

فنصرٌ آت .. وفتحٌ مبينُ ..

مزقي يا دمشق خارطة الذل

وقولـي للـدهر : كُن .. فيـكون

استردتْ أيامَـها بكِ بدرٌ

واستعادتْ شبابَـها حطينُ

بك عَزَتْ قريشُ بعد هوان

وتلاقتْ قبائلٌ وبطونُ ..

إنَّ عمرو بنَ العاص يزحف للشرق

وللغرب يزحفُ المأمونُ

كتب الله أن تكوني دمشقاً

بكِ يبدا وينتهي التكويـنُ

لا خيارٌ أن يصبح البحرُ بحراً

أو يختارُ صوتَهُ الحسُّونُ

ذاك عُمْرُ السيوف .. لا سيفَ إلا

دائنٌ يا حبيبتي أو مَدينُ

هُزم الروم بعد سبعِ عجاف

وتعافى وجداننا المطعونُ

وقتلنا العنقاءَ في (جَبَل الشيخ)

وألقى أضراسَهُ التنّينُ

صَدَقَ السيفُ وعدَهُ .. يا بلادي

فالسياساتُ كلُّها أفيُونُ

صدق السيفُ حاكماً وحكيماً

وحدَه السيفُ يا دمشقُ اليقينُ

اسحبي الذيلَ يا قنيطرة[41] المجدِ

وكحِّل جفنيك يــا حرمونُ

[41] محافظة القنيطرة هي محافظة سورية في هضبة الجولان، يقع معظم المساحة التي حددت لها السلطات السورية غربي خط الهدنة المفروض حسب اتفاقية فك الاشتباك من 1974، أي فعلاً خارج السيطرة السورية. حتى حرب يونيو 1967 كانت هذه المحافظة في سيادة سورية كاملة، أما في تلك الحرب فاحتل الجيش الإسرائيلي معظم مساحة المحافظة، بما في ذلك مدينة القنيطرة التي كانت عاصمة المحافظة. هجرت غالبية سكان المحافظة منها ولجؤوا في ضواحي مدينة دمشق أثناء الحرب أو بعدها بقليل، ولكن بعض السكان العرب الدروز بقوا في قراهم وأصبحوا مقيمين في الأرض المحتلة من قبل إسرائيل حسب قوانينها، بينما ما زالت الجمهورية العربية السورية تعترف بهم كمواطنين سوريين وقد رفضوا الجنسية الإسرائيلية. بعد حرب أكتوبر 1973 وضمن اتفاقية فك الاشتباك استعاد السوريين من إسرائيل 60 كم مربع من المحافظة الواقعة فيها مدينة القنيطرة وكامل قرى الجيب الذي إحتلته إسرائيل في حرب 1973. أما سوريا فالتزمت في الاتفاق إبعاد قواتها العسكرية من خط الهدنة والموافقة على مرابطة قوات دولية للأمم المتحدة (UNDOF) في شريط محاذ لخط الهدنة.ومنذ عام 74 من القرن الماضي إلى اليوم شهدت محافظة القنيطرة تطورا كبيرا وخطوات متقدمة في مجال التنمية رغم المعوقات الكثيرة فقد كانت الأولوية لإعادة إعمار القرى التي إنسحب منها الإسرائيليون ووضعت القيادة السياسية كل الإمكانيات لمؤسسة الإسكان العسكري للقيام بالمهمة التي أنجزت بشكل مرتجل فكانت المخرجات غير مقبولة وخضعت العملية لمزاجية الشباب المهندسون الجدد ممن لايملكون أي خبرة عملية ودون ضوابط أو لوائح تحكم عملهم وبشكل عشوائي دون اعتماد مخططات هندسية أو مخططات تنظيمية والحقيقة أن سكان خرق 73 لم يحصلوا ولو على جزء يسير من حقوقهم ولكن مكرمة الرئيس الراحل المرحوم حافظ الأسد بالعمل على استصلاح كافة أراضي المحافظة بشكل مجاني كان لها دور هام وعظيم في إضفاء لمسة حضارية وفتح آفاق جديدة لقرى القنيطرة الحدودية.

سبَقتْ ظلَّها خيولُ هشام

وأفاقت من نومها السكينُ

علمينا فقه العروبـة يا شام

فأنتِ البيـان والتبيـينُ

علمينا الأفعالَ .. قد ذَبَحَتْنا

أحرفُ الجرّ .. والكلام العجينُ

علمينا قراءة البرق والرعد

فنصفُ اللغات وحلٌ وطينُ

علمينا التفكير .. لا نصرَ يُرجى

حينما الشعب كلّه سَرْدينُ

إن أقصى ما يُغضبُ اللهَ فكرٌ

دجّنوهُ ... وكاتبٌ عنّين

وطني، يا قصيدة النارِ والورد

تغنـت بما صنعتَ القـرونُ

إن نـهرَ التاريـخ ينبعِ في الشام

أيُلغي التاريخَ طرحٌ هجينُ ؟

نحن أصلُ الأشياء ... لا فوردُ باق

فوق إيوانه ولا رابينُ

نحنُ عكا ونحنُ كرمل حيفا

وجبال الجليل .. واللطرونُ

كل ليمونة ستنجب طفلاً

ومحالٌ أن ينتهي الليمونُ

شام يا شام غيري قدر الشمس

وقولي للدهر : كن .. فيكون

إركبي الشمس يا دمشق حصاناً

ولك الله ... حـافظ و أميـنُ

ملاحظات في زمن الحب والحرب

1

ألاحظتِ شيئاً ؟

ألاحظتِ أنَّ العلاقةَ بيني وبينكِ ..

في زمنِ الحرب ..

تأخذُ شكلاً جديدا ..

وتدخلُ طوراً جديدا ..

وأنّكِ أصبحتِ أجملَ من أيِّ يومٍ مضى ..

وأنّي أحبّكِ أكثرَ من أيَّ يومٍ مضى ..

ألاحظتِ ؟

كيفَ اخترقنا جدارَ الزمنْ

وصارتْ مساحةُ عينيكِ ..

مثلَ مساحةِ هذا الوطنْ ..

2

ألاحظتِ ؟

هذا التحوّلَ في لونِ عينيكِ

حينَ استمعنا معاً .. لبيانِ العبورْ

ألاحظتِ ؟

كيف احتضنتُكِ مثل المجانينِ ..

كيفَ عصرتُكِ مثلَ المجانين ..

كيفَ رفعتُكِ .. ثم رميتُكِ ..

ثم رفعتُكِ .. ثم رميتُكِ ..

فاليومَ عرسٌ ..

وتشرينُ سيّدُ كلِّ الشّهورْ ..

ألاحظتِ ؟

كيفَ تجاوزتُ كلَّ ضفافي ؟

وكيفَ غمرتُكِ مثلَ مياهِ النـهورْ

ألاحظتِ .. كيفَ اندفعتُ إليكِ ؟

كأنّي أراكِ لأوّلِ مرّهْ ..

ألاحظتِ كيفَ انسجمْنـا ..

وكيفَ لَهِثنـا .. وكيفَ عَرِقنا ..

وكيفَ استحَلْنا رماداً .. وكيفَ بُعِثنـا ..

كأننا نمارسُ فِعلَ الغرامْ ..

لأوّلِ مرّهْ ..

3

ألاحظتِ ؟

كيفَ تحرّرتُ من عقدةِ الذَّنْبِ ..

كيفَ أعادتْ

ليَ الحربُ كلَّ ملامحِ وجهي القديمهْ

أحبُّكِ في زمنِ النصرِ ..

إن الهوى لا يعيشُ طويلاً

بظلِّ الهزيمهْ ..

4

هل الحربُ تُنقذنا بعدَ طول الضّياع ؟

وتُضرمُ أشواقنا الغافيهْ

فتجعلَني بدويَّ الطِّباعْ

وتجعلَكِ امرأةً ثانيهْ ..

5

ألاحظتِ ؟

كيفَ اكتشفنا طفولَتنا

بعدَ ستِّ سنين

وكيفَ رجعنا أخيراً ..

لمملكةِ العشقِ والعاشقينْ

أأحسستِ مثلي ؟

بأنَّ رجالَ المظلاّتِ كانوا ..

يحطّونَ مثل الحَمامِ على راحتَيْنا

وأنَّ جنودَ المغاويرِ كانوا ..

يمرّون فوقَ عروقِ يدينا ..

ألاحظتِ ؟

كيفَ نثرنا عليهمْ

عقودَ البنفسجِ والياسمينْ

وكيف ركضنا إليهمْ ..

وكيف انحنَينا ..

أمامَ بنادقهمْ خاشعينْ

ألاحظتِ كيفَ ضحكنا ؟ ..

وكيف بكَينا ؟ ..

وكيفَ عبرنا الجسورَ معَ العابرينْ ..

6

تركتُ عصورَ انحطاطي ورائي ..

تركتُ عصورَ الجفافْ

وجئتُ على فرسِ الريحِ والكبرياءِ

لكي أشتري لكِ ثوبَ الزّفافْ ..

7

تصيرينَ في زمنِ الحربِ ..

مصقولةً كالمرايا

ومسحوبةً كالزرافهْ

وبينَ يدينا تذوبُ الحدودً

وتُلغى المسافهْ

8

قرأتُ خرائطَ جسمكِ ..

في كتبي المدرسيّهْ ..

ولا زلتُ أحفظُ أسماءَ كلِّ النـهورِ ،

وأشكالَ كلِّ الصخورِ ،

وعاداتِ كلِّ البوادي

ولا زلتُ أحفظُ أعمارَ كلِّ الجيادِ

فكيفَ أفرّقُ بين حرارةِ جسمكِ أنتِ ..

وبينَ حرارةِ أرضِ بلادي ؟؟

9

وجدنا أخيراً .. حدودَ فَـمَينا

عثرنا على لغةٍ للحوارْ

وكانَ حزيرانُ يجلسُ فوقَ يدينا

ويحبسُنا في كهوفِ الغُبارْ

وكنتُ أحبُّكِ ..

لكنَّ ليلَ الهزيمةِ صادَرَ منّي النـهارْ

وكنتُ أريدَ الوصولَ أليكِ ..

ولكنّهم أنزلوني .. قُبيلَ رحيلِ القطارْ ..

وكنتُ أفكّرُ فيكِ كثيراً ..

وأحلُمُ فيكِ كثيراً ..

وكنتُ أهَرِّبُ شعري إليكِ

برغمِ الحصارْ

ولكنّهم أعدموني مراراً

وأرخوا عليَّ السّتارْ

ولكنْ برغمِ تعدُّدِ موتي

بقيتُ أحبُّكِ .. يا زهرةَ الجُلَّنارْ

10

أحبُّكِ أنتِ ..

وأكتبُ حُبّي على وجهِ كلِّ غمامهْ

وأعطي مكاتيبَ عشقي ..

لكلِّ يمامهْ

أحبُّكِ في زمنِ العنفِ ..

مَن قالَ إنّي أريدُ السلامهْ ؟

أحبُّكِ .. يا امرأةً من بلادي

وأنوي ، على شفتيكِ ، الإقامهْ

11

ألاحظتِ ؟

كم تشبهينَ دمشقَ الجميلهْ

وكم تشبهينَ المآذنَ ..

والجامعَ الأمويَّ ..

ورقصَ السّماحِ ..

وخاتمَ أمّي ..

وساحةَ مدرستي ..

وجنونَ الطفولهْ

ألاحظتِ كم كنتِ أنثى ؟

وكم كنتُ ممتلئاً بالرجولهْ

ألاحظتِ ؟

كيفَ تألّقَ وجهكِ .. تحتَ الحرائقْ

وكيفَ دبابيسُ شَعركِ ..

صارت بنـادقْ ؟ ..

ألاحظتِ .. كيفَ تغيّرَ تاريخُ عينيكِ ..

في لحظاتٍ قليلهْ ؟ ..

فأصبحتِ سيفاً بشكلِ امرأهْ

وأصبحتِ شعباً بشكلِ امرأهْ

وأصبحتِ كلَّ التراثِ ..

وكلَّ القبيلهْ ..

12

ألاحظتِ ؟

كم كنتِ رائعةَ الحُسنِ ، ذاكَ المساءْ

وكيفَ جلستِ أمامي ..

كعاصمةِ الكبرياءْ ..

وكيفَ تغيّرَ إيقاعُ صوتِكِ

حتى تصوّرتُ صوتَكِ ..

ينبوعَ ماءْ ..

وزهرةِ دفلى[42] ، على شَعرِ المجدليّهْ

---

[42] الدِّفــلى شجيرة لأزهار الزينة المنزلية. وتنمو الدِّفلى في بعض الأحيان حتى يصل ارتفاعها إلى أربعة أمتار ونصف المتر. وتحمل الشجيرة أوراقاً جلدية رمحية الشكل وورودًا جميلة. والنوعان الأكثر شيوعاً من هذه الشجيرات لهما زهور مثمرة حمراء أو بيضاء. وموطن الدفلى هو الأجزاء الدافئة في آسيا وإقليم البحر الأبيض المتوسط. ويزرع البستانيون الدفلى في الهواء الطلق في الأجواء الدافئة، ويزرعونها في أصص وأحواض في الأقاليم المعتدلة. ولأن كل أجزاء هذا النبات سامة إذا أكلت، لذا يجب تحذير الأطفال من أكلها. وإذا وضعت شتلات النبات في زجاجات بها ماء فإنها تكون جذوراً خلال أسابيع قليلة. وينمِّي البستانيون الدفلى من الشتلات. وبعد أن تتكون جذور الشتلات يجب نقلها إلى تربة رطبة غنية حيث تنمو جيدًا.

ألاحظتِ ؟

أنّكِ صرتِ دمشقَ ..

بكلِّ بيارقها[43] الأمويّهْ

ومِصرَ .. بكلِّ مساجدِها الفاطميّهْ

وصرتِ حصوناً ..

وأكياسَ رملٍ ..

ورَتلاً طويلاً من الشهداءْ

ألاحظتِ ..

أنّكِ صرتِ خلاصةَ كلِّ النساءْ

وصرتِ الكتابةَ والأبجديّهْ ..

13

[43] جمع بيرق وهي كلمة فارسية معناها الراية أو العلم الكبير.

أحبُّكِ ..

عندَ اشتدادِ العواصفِ

لا تحتَ ضوءِ الشموعِ

ولا تحتَ ضوءِ القمرْ ..

وأعلنُ للناسِ أنّي أعارضُ ضوءَ القمرْ

وأكرهُ ضوءَ القمرْ ..

أحبُّكِ ..

حينَ تكونُ الشوارعُ مغسولةً بدموعِ المطرْ

وحينَ تصيرُ بلونِ النحاسِ

ثيابُ الشجرْ

أحبُّكِ ..

مزروعةً في عيونِ الصّغارْ

ومسكونةً بهمومِ البشرْ

ومولودةً في مياهِ البحارِ

وطالعةً من ضميرِ الحجرْ ..

أحبُّكِ ..

حينَ يسافرُ شَعركِ في الريحِ ..

دونَ جوازِ سفرْ

وحينَ يغمغمُ نهدُكِ ..

كالذئبِ .. في لحظاتِ الخطرْ

فهل تعرفينَ عشيقاً ؟

أحبَّكِ يوماً بهذا القدَرْ

14

أحبُّكِ أيّتها الغاليهْ

أحبُّكِ أيّتها الغاليهْ

أحبُّكِ مرفوعة الرأسِ مثلَ قبابِ دمشقَ ..

ومثلَ مآذنِ مصرَ ...

فهل تسمحينَ بتقبيلِ جبهتِكِ العاليهْ ؟

وهل تسمحينَ بنسيانِ وجهي القديمِ ..

وشِعري القديمِ ..

ونسيانِ أخطائيَ الماضيهْ

وهل تسمحينَ بتغييرِ ثوبكِ ؟

إنَّ حزيرانَ ماتَ ..

وإنّي بشوقٍ لرؤيةِ أثوابكِ الزّاهيهْ ..

أحبُّكِ أكثرَ ممّا ببالِكِ ..

أكثرَ ممّا ببالِ البحارِ .. وبالِ المراكبْ

أحبُّكِ ..

تحتَ الغُبارِ ،

وتحتَ الدمارِ ،

وتحتَ الخرائبْ

أحبُّكِ .. أكثرَ من أيِّ يومٍ مضى ..

لأنَّكِ أصبحتِ حُبّي المحاربْ ..

تشرين الأول (أكتوبر) 1973

حوار ثوري مع طه حسين[44]

ومنعت الأغنيات ، ولكن الشعب العربي ظل يرددها وبصوت عالٍ فقد كانت هناك ثمة عروة وثقي تشبه الحبل السري تربط بين هذا الجمهور العاشق المحب وبين الشاعر الجامح الذي أخلص لأمته وتناول فضاياها من خلال شعره ونثره ، كان نزار قباني يعشق الحرية ، ويري في الكلمة طائرا يلامس بجناحيه أجواز الفضاء ، وينتعش هذا الطائر مرفرفاً فوق الصخب والترهات ، كما كان نزار قباني عاشقاً حتي الثمالة لمصر ومتيماً بها وبأهلها ، فهي كما يقول الشاعر:

وكم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق.

ولعل البعض ممن عايشوا فترة السبعينيات يعرفون سبب منع الأغنيات التي أخذت عن أشعار نزار قباني وهي كثيرة تغنت بها أم كلثوم وعبد الحليم ونجاة وغيرهم..

وحدث أن دعت مصر إلي الاحتفال بالذكري الثالثة لرحيل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (ت 1973) ، كان ذلك هو العام 1976م ، وكانت مصر قد خاضت حرب أكتوبر 1973.

وبدأت الاحتفالية الكبيرة في ذكري العميد ، ألقيت الكلمات والقصائد ، حتي جاء الدور علي نزار ليلقي قصيدته التي تناول فيها مدي التردي الذي أصاب الفكر العربي والحياة الأدبية وخاطب نزار طه حسين قائلاً:

أيها الأزهري ، يا سارق النار ويا كاسراً حدود الثواني
عد إلينا فإن عصرك عصر ذهبي ونحن عصر ثان..

---

[44] قرب نهاية حقبة سبعينيات القرن الماضي صدر قرار تم بموجبه منع الأغنيات التي تنطلق علي حناجر المطربين والمطربات عبر أثير الإذاعة المصرية التي صاغ أشعارها الشاعر الكبير نزار قباني (21 مارس 1923 - 30 أبريل 1998) والذي أثري ديوان الشعر العربي بروائع من قصائده أدخل فيها من قاموسه كلمات رقيقة تماوجت مع الحالة الوجدانية للإنسان العربي في أفراحه وأتراحه ، كان نزار قباني يمثل واجهة للهم العربي الذي عاشه المواطن العربي من المشرق حتي المغرب وسط غلالة من السحب السوداء ـ خاصة بعد حرب يونيو 1967- وكتب نزار قباني أروع قصائده السرية والتي كانت تتداول بين أيدي الناس سراً ، ويخطها الناس بفرحة مضمخة بحزن شديد كانت تلك هي قصيدة " هوامش علي دفتر النكسة" ، وعاش نزار يحمل بين جوانحه هموم أمته كما أي عاشق لا يتوانى عن هذا الحب فيعبر عنه بطريقته الخاصة..

ضـوءُ عينَيْـكَ أمْ هُما نَجمَتانِ ؟

كُلُّهمْ لا يَـرى .. وأنـتَ تَراني

ولم يلبث وقت طويل حتي بدأت نذر التوتر تجتاح المكان ونزار قباني يهدر بصوته القوي واصفاً حالة الفكر بأنه قد سقط في بحر من النفاق السياسي وبأن الأديب أضحي وكأنه بهلوان أو أحد هؤلاء الذين يزينون الأمور مثل مضحك الملك ، وغضب السادات..

غضب السادات وظن أن نزار قباني يتناوله وخاصة أن البعض ممن كانوا وقتها يظنون أن كل الكتاب والشعراء سينبري ليمجد السادات ويشد من أزره بعد الانتصار المجيد الذي حققه جيش مصر تحت قيادة السادات..

كما غضب بعض حملة الأقلام وشنت الصحافة حملة شعواء علي نزار وكيلت في حقه المقالات التي تناولته وسن أصحابها الأقلام للنيل منه وعيروه بأن شعره لا يستحق كل ما يثار جوله من ضجة كما أنه يحض علي الفسوق والمجون .. (تماما كما يفعل رؤساء تحرير وصحفيو الجمهورية والأهرام وروز اليوسف والإذاعة والتلفزيون اليوم ضد السيد حسن نصر الله وضد الجزائر وحزب الله وحماس وقطر وسوريا).

وما لبث نزار إلا أن ختم قصيدته بقوله:

أيها الغاضب الكبير .. تأمل كيف صار الكُتّاب كالخرفان
قنعوا بالحياة شمساً ومرعي واطمأنوا للماء والغدران
إن أقسي الأشياء للنفس قلم في يد الجبان الجبان

اشتعل أوار الغضب في نفس الكثير من الحضور ، وانتهي الحفل وعلي أثره طار نزار بعد ساعات قليلة عبر طائرة أقلته خارج مصر ، ويردد بعض المقربين من نزار وقتها أن الكاتب الكبير يوسف إدريس هو الذي نصح صاحبه بالمغادرة علي أول طائرة..

ولم يجد كتاب النفاق السياسي المصريون سبيلا للانتقام من الشاعر الكبير سوى السعي لمنع كلمات نزار المغناة عبر حناجر كبار المطربين والمطربات..

لستُ أدري مِن أينَ أبدأُ بَوْحي

شجرُ الدمـعِ شـاخَ في أجفانـي

كُتِبَ العشقُ ، يا حبيبـي ، علينـا

فـهـوَ أبكـاكَ مثلما أبكـانــي

عُمْرُ جُرحي .. مليونَ عامٍ وعامٍ

هلْ تَرى الجُرحَ من خِلال الدُخانِ ؟

نَقشَ الحـبُّ في دفاتـرِ قـلبـي

كُـلَّ أسمـائِهِ ... ومـا سَمَّـانـي

قالَ : لا بُدَّ أن تَمـوتَ شـهـيداً

مثلَ كُلِّ العشّـاقِ ، قلتُ عَسَـاني

وطويـتُ الدُّجـى أُسـائلُ نفسي

أبسَيْفٍ .. أم وردةٍ قد رمـانـي ؟

كيفَ يأتي الـهوى، ومن أينَ يأتي ؟

يعـرفُ الـحـبُّ دائماً عـنواني

صَدَقَ الموعدُ الجميلُ .. أخيـراً

يا حبيبي ، ويا حَبيـبَ البَيَـانِ

ما عَلَينـا إذا جَلَسْنا بـِرُكـنِ

وَفَتَحْنـا حَـقائِـبَ الأحـزانِ

وقـرأنـا أبـا العـلاءِ قـليـلاً

وقـرَأنـا (رِسَـالةَ الغُـفْـرانِ)

أنـا في حضـرةِ العُصورِ جميعاً

فزمانُ الأديبِ .. كـلُّ الزّمـانِ ..

*

ضوءُ عينَيْكَ .. أم حوارُ المَـرايا

أم هُـما طائِـرانِ يحتـرِقانِ ؟

هل عيـونُ الأديبِ نـهرُ لـهيبٍ

أم عيـونُ الأديبِ نَـهرُ أغانـي ؟

آهِ يا سـيّدي الذي جعلَ اللّيـلَ

نـهاراً .. والأرضَ كالمـهرجانِ ..

إرمِ نـظّارَتَيْـكَ كـي أتملّـى

كيف تبكي شـواطئُ المرجـانِ ..

إرمِ نظّارَتَيْكَ ... ما أنـتَ أعمى

إنّمـا نـحـنُ جـوقـةُ العميـانِ ..

*

أيّها الفارسُ الذي اقتحمَ الشمسَ

وألقى رِداءَهُ الأُرجواني

فعلى الفجرِ موجةٌ مِن صهيلٍ

وعلى النجمِ حافرٌ لحصانِ ..

أزْهَرَ البرقُ في أنامِلكَ الخمسِ

وطارَتْ للغربِ عُصفورَتانِ

إنّكَ النهرُ .. كم سقانا كؤوساً

وكَسانا بالـوردِ وَ الأقـحُوانِ

لم يَزَلْ ما كَتَبْتَهُ يُسكِرُ الكـونَ

ويجـري كالشّهـدِ تحـتَ لساني

في كتابِ (الأيّامِ) نوعٌ منَ الرّسمِ

وفـيهِ التـفـكيـرُ بالألـوانِ ..

إنَّ تلكَ الأوراقِ حقـلٌ من القمحِ

فمِـنْ أيـنَ تبـدأُ الشّـفـتـانِ ؟

وحدُكَ المُبصرُ الذي كَشَفَ النَّفْسَ

وأسْرى في عُتمـةِ الوجـدانِ

ليـسَ صـعباً لقـاؤنـا بإلـهٍ ..

بلْ لقاءُ الإنسـانِ .. بـالإنسـانِ ..

*

أيّها الأزْهَـرِيُّ ... يا سارقَ النّارِ

ويـا كاسـراً حـدودَ الثـوانـي

عُدْ إلينا .. فإنَّ عصـرَكَ عصرٌ

ذهبـيٌّ .. ونحـنُ عصـرٌ ثاني

سَقطَ الفِكرُ في النفاقِ السياسيِّ

وصـارَ الأديـبُ كالـبَهْلَـوَانِ

يتعاطى التبخيرَ .. يحترفُ الرقصَ

ويـدعـو بالنّصـرِ للسّلطانِ ..

عُدْ إلينـا .. فإنَّ مـا يُكتَبُ اليومَ

صغيرُ الـرؤى .. صغيرُ المعانـي

ذُبحَ الشِّعرُ .. والقصيدةُ صارَتْ

قينــةً تُـشتَـرى كَكُـلِّ القِيَـانِ

جَـرَّدوها من كلِّ شيءٍ .. وأدمَوا

قـدَمَيْهـا .. باللّـفِ والـدّورانِ

لا تَسَـلْ عـن روائـعِ المُـتنبّي

والشَرَيفِ الرّضـيِّ ، أو حَسَّانِ ..

ما هوَ الشّعرُ ؟ لـن تُلاقي مُجيباً

هـوَ بيـنَ الجنـونِ والـهذيـانِ

*****

عُدْ إلينـا ، يا سيّدي ، عُدْ إلينـا

وانتَشِلنـا من قبضـةِ الطـوفـانِ

أنتَ أرضعتَنـا حليـبَ التّحـدّي

فطحَنَّـا الـنجـومَ بالأسـنـانِ ..

واقـتـَلَعنـا جـلودَنـا بيدَيْنـا

وفـكَكْنـا حـجـارةَ الأكـوانِ

ورَفضْنا كُلَّ السّلاطينِ في الأرضِ

رَفَـضْنـا عِـبـادةَ الأوثـانِ

أيّها الغاضبُ الكبيـرُ .. تأمَّـلْ

كيفَ صارَ الكُتَّـابُ كالخِرفـانِ

قنعوا بالحياةِ شَمسَاً .. ومرعىً

و اطمَأنّـوا للمـاءِ و الغُـدْرانِ

إنَّ أقســى الأشياءِ للنفسِ ظُلماً ..

قلَمٌ في يَـدِ الجَبَـانِ الجَبَـانِ ..

يا أميرَ الحُروفِ .. ها هيَ مِصرٌ

وردةٌ تَسـتَحِمُّ في شِـريـانـي

إنّني في حُمّى الحُسينِ، وفي اللّيلِ

بقايـا من سـورةِ الـرّحمـنِ ..

تَسـتَبدُّ الأحـزانُ بي ... فأُنـادي

آهِ يا مِصْرُ مِـن بنـي قحطـانِ ..

تـاجروا فيكِ .. ساوَموكِ .. استَباحوكِ

وبَـاعُوكِ كَـاذِبَاتِ الأمَـانِـي

حَبَسـوا الماءَ عن شـفاهِ اليَتامى

وأراقـوهُ في شِـفاهِ الغَوانــي

تَركوا السّيفَ والحصانَ حَزينَيْنِ

وباعـوا التاريـخَ للشّـيطـانِ

يشترونَ القصورَ .. هل ثَمَّ شـارٍ

لقبـورِ الأبطـالِ في الجَـولانِ ؟

يشـترونَ النساءَ .. هل ثَمَّ شـارٍ

لدمـوعِ الأطـفالِ في بَيسـانِ ؟

يشترونَ الزوجاتِ باللحمِ والعظمِ

أيُشـرى الجـمـالُ بالميزانِ ؟

يشـترونَ الدُّنيا .. وأهـلُ بلادي

ينكُشـونَ التُّـرابَ كالدّيـدانِ ...

آهِ يا مِصـرُ .. كَم تُعانينَ مِنــهمْ

والكبيـرُ الكبيـرُ .. دوماً يُعانـي

لِمَنِ الأحمـرُ المُـراقُ بسَـيناءَ

يُحاكي شـقـائـقَ النُعـمانِ ؟

أكَلَتْ مِصْرُ كِبْدَها .. وسِـواها

رَافِلٌ بالحـريرِ والطيلَسَـانِ ..

يا هَوَانَ الـهَوانِ .. هَلْ أصبحَ النفطُ

لَـدَينـا .. أغْـلى من الإنسـانِ ؟

أيّها الغارقـونَ في نِـعَـمِ اللهِ ..

ونُعمَى المُرَبْرَباتِ الحِسانِ ...

قدْ رَدَدْنا جحافلَ الرّومِ عنكمْ

ورَدَدْنا كِسرى أنوشِرْوانِ

وحَمَيْنا مُحَمَّداً .. وعَلِيَّاً

وحَفَظْنا كَرامَةَ القُرآنِ ..

فادفعوا جِزيَةَ السّيوفِ عليكُمْ

لا تعيشُ السّيوفُ بالإحسانِ ..

*

سامِحيني يا مِصرُ إنْ جَمَحَ الشِّعرُ

فطَعْمُ الحـريقِ تحـتَ لِسـاني

سامحيني .. فأنتِ أمُّ المروءَاتِ

وأمُّ السّماحِ والغُفرانِ ..

سامِحيني .. إذا احترَقتُ وأحرَقتُ

فليسَ الحِيادُ في إمكاني

مِصرُ .. يا مِصرُ .. إنَّ عِشقي خَطيرٌ

فاغفري لي إذا أضَعْتُ اتِّزاني ...

مرسوم بإقالة خالد بن الوليد

1

سرقوا منا الزمان العربي

سرقوا فاطمة الزهراء من بيت النبي

يا صلاح الدين ،

باعوا النسخة الأولى من القرآن ،

باعوا الحزن في عينيّ علِيّ ..

كشفوا في أحُدٍ ظهر رسول الله ..

باعوا الأنهر السبعة في الشام ،

وباعوا الياسمين الأموي ..

يا صلاح الدين ،

باعوك وباعونا جميعا ..

في المزاد العلني ..

2

سرقوا منا الطموح العربي

عزلوا خالد في أعقاب فتح الشام ،

سموه سفيراً في جنيف ،

يلبس القبعة السوداء ..

يستمتع بالسيجار .. والكافيار ..

يرغي بالفرنسية ..

يمشي بين شقراوات أوروبا ..

كديك ورقي ..

أتراهم دجنوا هذا الأمير القرشي

هكذا تـُخصَى البطولات لدينا يا بني ..

3

سرقوا مِن طارق معطفه الأندلسي

أخذوا منه النياشين أقالوه من الجيش ،

أحالوه الى محكمة الأمن ،

أدانوه بجُرم النصر ،

هل جاء زمان

صار فيه النصر محظوراً علينا يا بني ؟

ثم هل جاء زمان ؟

يقف السيف به متهماً

عند أبواب القضاء العسكري

ثم هل جاء زمان

فيه نستقبل إسرائيل بالورد .. وآلاف الحمائم

و النشيد الوطني ..

لم أعد أفهم شيئاً يا بني ..

لم أعد أفهم شيئاً يا بني ..

لم أعد أفهم شيئاً يا بني ..

4

رهنوا الشمس لدى كل المرابين ،

وباعوا بالملاليم القمر ..

كسروا سيف عمر ..

شنقوا التاريخ من رجليه ..

باعوا الخيل و الكوفية البيضاء

باعوا أنجم الليل وأوراق الشجر ..

سرقوا الكحل من العين ،

وباعوا في عيون البدويات الحور

أجهضونا قبل أن نحبل ..

أعطونا حبوباً

تمنع التاريخ أن ينجب أولاداً ..

وأعطونا لقاحاً

يمنع الشام بأن تصبح بغداداً ..

وأعطونا حبوباً ..

تمنع الجرح الفلسطيني أن يصبح بستان نخيل

وماريجوانا .. لقتل الخيل أو قتل الصهيل ..

وسقونا من شراب ..

يجعل الإنسان من غير مواقف

ثم أعطونا مفاتيح الولايات ..

و سمونا ملوكاً للطوائف ..

5

يا صلاح الدين ..

هل تسمع تعليق الإذاعات ..

وهل تصغي إلى هذا البغاء العلني ؟

أكلوا الطعم .. وبالوا

فوق وجه العنفوان العربي

ما الذي يجري على المسرح ؟

مَن يجذب خيطان الستار المخملي ؟

مَن هو الكاتب ؟ لا ندري

مَن المخرج ؟ لا ندري

ولا الجمهور يدري .. يا بني ! ..

إنهم خلف الكواليس ..

وهم يغتصبون امرأة تدعى الوطن ..

ويبيعون الخلاخيل برجليها ..

يبيعون البساتين بعينيها ..

يبيعون العصافير التي

تسكن في نافذة النهدين من بدء الزمن

ويبيعون بكأسين من الويسكي ..

أملاك الوطن ..

6

سرقوا منا الزمان العربي

أطفئوا الجمر الذي يحرق صدر البدوي

علقوا لافتة البيع على كل الجبال

سلموا الحنطة .. و الزيتون .. و الليل ..

و عطر البرتقال ..

منعوا الأحلام أن تحلم .. ساقوا

كل أنواع العصافير التي تكتب أشعاراً

إلى السجن .. فهل جاء زمان ؟

صار فيه كل من يحمل صندوق سلاح

كالذي يحمل صندوق حشيش .. يا بني

ثم هل جاء زمان ؟

أصبح التحرير والتخدير فيه توأمين ..

ثم هل جاء زمان ؟

أصبح الفعل به ضد اليدين

ثم هل هل جاء زمان ؟

صار فيه الحرف ضد الشفتين ؟

7

يا صلاح الدين ..

هذا زمن الردة ..

و المد الشعوبي القوي

أحرقوا بيت أبي بكر ..

وألقوا القبض في الليل على آل النبي

فشريفات قريش

صرن يغسلن صحون الأجنبي ..

8

يا صلاح الدين ..

ماذا تنفع الكلمة في هذا الزمان الباطني

ولماذا نكتب الشعر .. وقد

نسي الله الكلام العربي ؟؟

1977

مواويل دمشقيـة إلى قمر بغداد [45]

أيْقظَتْني بلقيسُ[46] في زُرْقَةِ الَفجْرِ

وغنَتْ من العراق مَقاما ..

أرْسَلَتْ شَعْرَها كنَهْرِ (دِيالي)[47]

أرأيُتمْ شَعْراً يقولُ كَلاَما ؟

كان في صَوتِها الرصَافَةُ والكَرْخُ[48]

---

[45] ألقيت في المهرجان الذي أقامه الإتحاد العام لنساء العراق في بغداد في 1979/2/10 تحت شعار (من أجل شعرٍ يترجم طموحات الأمة في وحدتها). وبمناسبة العمل الوحدوي بين سوريا و العراق.

[46] بلقيس الراوي : زوجة الشاعر الثانية وهي عراقية تزوجا لعشر سنوات وأنجب له زينب وعمر واستشهدت في انفجار السفارة العراقية في بيروت في ديسمبر 1981.

[47] نـهر ديالى الذي يطلق عليه الأكراد تسمية نـهر سيروان يعتبر من أحد روافد نـهر دجلة. يمر النهر عبر إيران والعراق ويبلغ طوله الإجمالي 445 كم. ينبع النهر من جبال زاكروس ويصب في دجلة جنوبي العاصمة العراقية بغداد.

يطلق اسم ديالى أيضا على إحدى المحافظات العراقية.

[48] الكرخ هو أحد قسمي مدينة بغداد على الجانب الغربي لنـهر دجلة. ويوجد فيه العديد من المناطق الحيوية للعاصمة العراقية ومنها المنصور والكاظمية والصالحية وشارع حيفا والعامرية. القسم الثاني هو الرصافة على الجانب الشرقي للنـهر وفي كلا الجزأين نجد المباني الحديثة وعلى جانب آخر الشوارع الضيقة والمحلات القديمة. ما يشبه القاهرة على ضفة النيل الشرقية والجيزة على ضفة النيل الغربية عندنا في مصر.

وشَمْسٌ .. وحِنْطَةٌ .. وخُزَامى

حملتْ لي جرائد اليوم والشاي

وفاضت أمومة وابتساما

ما لها زوجتي تطارحني الحب ؟

وكان الهوى علينا حراما

لك عندي بشارةٌ يا حبيبي

فعل القوم (البعث) ما فعلنا تماما

ذكروني - قالت - بليلة عرسي

ورفيفِ المنى ، وظُرْف الندامى

قبل عصر التوحيد نحن اتحدنا

وجعلنا (راوا) دمشقَ الشاما

أخَذُوا الحُب والصبابةَ عنا

ونسوا أننا اخترعنا الغَرَاما

إنْ يكونوا تَعَلمُوا لُغَةَ العِشْق

فنحنُ المتيمونَ القُدَامَى

إلتزامي أنا .... بوجه حبيبي

أوَليس الحبُّ الكبير التزاما ؟

تهمة الحب لا تزال ورائي

لا رآني ربي أردُّ اتهاما

.. وتزوجت زوجتي من جديد

وضحكنا ..وقبل كنا يتامى

يا شِراعاً وراءَ دَجْلةَ يجري

إقترِبْ .. إنني أموتُ هُياما

لي على الشط نَخْلةٌ تَيمَتْني

بهواها.. فاقرأ عليها السَلامَا

كيفَ أنسى في (الأعظميةِ)[49] ظبياً

أشْعَلَ النارَ في دمائي .. ونَامَا

تلكَ بغدادُ .. بعد عَشْرِ سنينِ

تلبسُ الماءَ والنجومَ حِزَاماً

دَجْلةٌ عاشقٌ يزورُ دمشقاً

وكريمٌ أتى يزورُ كِرامَا ..

إنَ كفَ المأمون في كف مَرَوانَ

وماءُ الفُراتِ صار مُدامَا

ليلة القدر ، ما أراه أمامي ،

أم يكون الذي أراه مناما

---

[49] الأعظمية مركز قضاء ومنطقة (حي) تقع شمال مركز مدينة بغداد على الجانب الشرقي لنهر دجلة. صورة جامع الإمام الأعظم في الأعظمية في عهد الدولة العثمانية عام 1890 تقريباً سميت بالأعظمية على اسم الإمام الأعظم، أبو حنيفة النعمان، ومنطقة الأعظمية تضم جامع الإمام الأعظم والمقبرة الملكية وكلية الإمام الأعظم وساعة الاعظمية. إضافة إلى معالم قديمة وحديثة متعددة منها جمعية منتدى الإمام أبي حنيفة التي تأسست عام 1968م. وكذلك يوجد فيها الكثير من المحال القديمة والعريقة والعديد من المدارس القديمة والحديثة النموذجية الأبتدائية والثانوية. وأيضاً عدد من الكليات والمعاهد والجامعة الإسلامية. وهي المنطقة التي كانت تعيش فيها بلقيس وعائلتها.

بابلٌ ضوَّأت .... وقبر عليٍّ

ترك الأرض واستحال غماما

انتظرنا هذا الزفاف طويلاً

وشربنا دموعنا أعواما

لا بريدُ المحبوب يأتي إلينا

لا.. ولا النوم قابلُ أن يناما

حُلُمٌ مُدهِشٌ .. أخافُ عليهِ

فَلَكَمْ كسَرُوا لنا أحلاما

بَردَى[50] يا أبا النُّهُورِ جميعاً

---

[50] نهر بردى نهر في دمشق العاصمة السورية ينبع من بحيرة نبع بردى في جنوب الزبداني على سلسلة الجبال السورية شمال غرب دمشق ويصب في بحيرة العتيبة جنوب شرق مدينة دمشق، مارا بمدينة دمشق ودمشق القديمة والغوطة. ينبع نهر بردى من الجنوب الغربي لوهدة الزبداني، من نبع فوكلوزي غزير عند أقدام جبل الشير منصور، على ارتفاع يزيد عن 1100م. يسير بعدها متعرجاً بضعة كيلو مترات حتى مزرعة التكية، حيث يدخل في وادي عميق شديد الإنحدار شهير باسم وادي بردى. ويتابع سيره حتى يدخل مدينة دمشق عند الربوة، بعد أن تكون تفرعت منه ستة فروع. عن يساره (يزيد وثورا) وعن يمينه (المزاوي، الديراني، قنوات، بانياس) مرتبة من المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى في الجريان، حيث تعبر هذه الأقنية خانق الربوة على مناسيب مختلفة، ثم تتباعد على شكل مروحة تغطي جميع أحياء مدينة دمشق، وبعد خروجها من دمشق تنتشر في جميع مناطق غوطة دمشق مشكلة بهذه الشريانات شبكة ري الغوطة. وفي مجرى النهر عند وادي بردى، يتلقى النهر عدة ينابيع

يا حصاناً يسابقُ الأياما

كُنْ بتاريخنا الحزين نبياً

يتلقى من ربَهِ الإلهاما

الملايينُ بايَعْتكَ أميراً

عربياً .. فَصَل فيها إمَامَا

وتَزوَجْ نَخْلَ العراقِ .. وأنْجِبْ

خالداً ثانيا .. وأنْجِبْ هشاما ..

يا عُيُونَ الَمهَا ببادية الَشامِ

أطِلي .. هذا زمانُ الخُزَامى

حَبَسُوكُن في الخيام طويلاً

فغَزلْنَا من الدمُوع خياما

أهمها نبع عين الفيجة الذي يضاعف في غزارة وحجم مياه بردى. ويخترق المجرى الأصلي لبردى، دمشق والغوطة في اتجاه الشرق والشمال الشرقي، حتى يصل إلى سبخة العتيبة، بعد أن يكون النهر قد قطع بين منبعته ومصبه مسافة 71كم.

واستردُّوا (الجسر المعلَّق) مِنّا

واستردُّوا الغروب والأنساما

شَهِدَ اللهُ ما حَنَثْنَا بوَعْدٍ

أو خَفَرنا لمن نحب الذِمَامَا ..

غيرَ أنَ الرياحَ هبتْ علينا

ورَمَتْنَا على الخليج حُطَاما

عَلمُونا أنْ لا نُحِب .. فخِفْنَا

لو فَعَلْنا أن نستحيلَ رُخاما

واعتَذَرْنا عن أي حُب بديلٍ

ورفضْنَا التخويفَ والإرغاما

كلُ هذا الخصام كان افتعالاً

حين يقوى الهوى يصيرُ خِصاما ..

يكبر البعث حين يسمو على النفس

وكان الإنسان كي يتسامى .....

يا شذا (الرازقيِّ)[51] في ليل بغداد

عشقنا ... فمن يرد السهاما ؟؟

يا سؤال الورد الدمشقيِّ عني

يا حقولاً ركضْت فيها غلاما

سنواتٌ عشرٌ .. نسيت حروفي

ودواتي ، كما نسيت الكلاما ...

---

[51] الفل أو الياسمين العربي ، وباصطلاح العراقيين (الرازقي)..من الزهور الجميلة عبقة الرائحة.. يحمل الفل بين ثناياه معاني الجمال والحب والأنس. ففيه الهدوء والسحر والتأمل والسكون مع تفجر الحياة والتطلع إلى الأمام عبر التداخل والانسجام مع الإنسان. وفيه أسرار ورموز يتملاها المحبين، وتأخذهم رائحته إلى ينابيع الإلهام والأحلام الملأى بالجمال والبسمة. وفيه امتداد الأشياء التي تتألق لدى رؤيته وتأجج العطاء الذي ولا ينتهي.ألوانها كألوان الياسمين.. بعطرها الشذي الفواح وخاصة في المساءات العراقية الصافية، وبلونها الابيض الناصع، تلهم زهرة الرازقي، المحبين نشوة امل بديمومة الحب والعلاقات النقية الصافية، غير ان مشكلة الرازقي هي حاجتها الى الحنان والمداراة الفائقة، فهي تسّود، ثم تذبل وتموت سريعا اذا لم تجد من يرعاها.

ما كتبنا .... وكيف يكتب شعراً

من يُعاني تمزُّقا وانفصاما ؟

سامح الله مَنْ على غير قصدٍ

سرقوا من طفولتي أعواما

لي حبيبان ، يملآن حياتي

أتعباني تنافراً وانسجاما

لم نفرق ما بين بعثٍ وبعثٍ

كيف يرضى لونُ السماء انقساما ؟

لم نفرق ما بين شعبٍ وشعبٍ

كيف يرضى لونُ السماء انقساما ؟

وطنٌ واحدٌ .... رسمناهُ قمحاً

ونخيلاً ، وأنجما ، ويماماً

نينوى .. البُوكمال[52].. طرطوس .. حمصٌ

بابلٌ ، كربلاء ، رُدي السلاما ...

وطنٌ واحدٌ .. ولا كان شِعري

لو يٌغني قبيلةَ .. أو نظاماً ..

هل أتتكَ الأخبارُ يا مُتنبِّي

أنَّ كافُور فكَّك الأهراما ؟[53]

سقطت مِصرُ في يَدي قرويٍّ

---

[52] البوكمال : مدينة سورية تقع شرق البلاد تابعة لمحافظة دير الزور على ضفاف نهر الفرات وهي منطقة حدودية يمر عبرها نهر الفرات ، عدد سكانها 200,000 نسمة. تأسست مدينة البوكمال عام 1864 م بعد أن كانت قرية صغيرة تسمى النحامة وتقع في منطقة سهلية على الضفة اليمنى لنهر الفرات في الجهة الشرقية من سوريا وترتفع عن سطح البحر بمقدار 165 متر وعلى خط عرض 532 شمال خط الاستواء ومناخها شبه صحراوي ومعدل أمطارها السنوي 150 مم ومساحتها 2000 هكتار وعدد سكانها 40 ألف نسمة. ويصل عدد سكان مدينة البوكمال وضواحيها إلى ما يقرب 280 ألف نسمة.

[53] هذه الأبيات التالية في هجاء الرئيس المصري وقتئذ أنور السادات.

لم يجد ما يبيع إلا (التراما) ..

مسرحي الطموح ، يلبس وجهاً

للكُوميديا .... وثانياً للدراما

هو فاروق ... شهوة ، وغروراً

والخديوي ... تسلُّطا وانتقاما

وعد الناس بالرحيق وبالشَّهد

ولكن سقاهُم الأوهاما

ساق من فكَّروا لمحكمة الأمنِ

وألغى المدادَ والأقلاما ....

وظَّف النيل مستشاراً لديه

والملايين ، ساقها أغناما

أضرم النار في منازل عبس

وتميم ، و أنكر الأرحاما ....

عصبيٌّ ... يصيح في مصرَ كالديك ..

وفي القدس يمسح الأقداما ...

جردوه من كل شيءٍ .. ولمَّا

استهلكوهُ ... ألقوا إليه العظاما

مصرُ أمُّ الدنيا ... وجزء من القلب

وليس السادات إلا مناما ....

وليس السادات إلا كابوسا

وليس السادات إلا للأمريكان عبدا وخداما

غيَّر الثائرون خارطة الأرض

وشدُّوا من حولها الألغاما

واستفقنا مع الذين استفاقوا

فامنحونا حُرّية ... وطعاما

لم تُغيِّر حضارة النفط ظفراً

من أظافرنا .... ولا إبهاما

قد حبلنا بالنفط ... دون زواج

ووضعنا ، بعد المخاض سُخاما ..

زهر اللوز ، في حدائق شيراز[54]

وأنهى المعذَّبون الصياما ...

ها هم الفرس قد أطاحوا بكسرى

بعد قهر ... وزلزلوا الأصناما

شيعةٌ ... سنةٌ ... جياعٌ .. عطاشٌ ..

كسروا قيدهم ... وفكُّوا اللجاما

شاهُ مصرٍ ... يبكي على شاهِ إيران

فأسوانُ .... منزل لليتامى

والخميني ... يرفع الله سيفا

ويهني النبي والإسلاما

---

[54] شيراز هي مدينة تقع في جنوب غرب إيران، وهي عاصمة محافظة فارس. تقع على ارتفاع 1486 متراً فوق مستوى سطح البحر، وسط جبال زاجروس

هكذا تصبح الديانة .. خلقا

مستمرا ، وثورة ، واقتحاما

لن يكون العراق إلا عراقاً

وهشام العظيم يبقى هشاما ..

موال دمشقي

لقـدْ كَتَبْنـا .. وأرسَلْنـا المَرَاسـيلا

وقـدْ بَـكَيْنـا .. وبَلَّلْنـا المَـنـاديلا

قُـل للّذيـنَ بأرضِ الشّـامِ قد نزلـوا

قتيلُكُـم لمْ يَـزَلْ بالعشـقِ مـقتـولا ..

يا شـامُ ، يا شـامَةَ الدُّنيا ، ووَردَتَها

يا مَـنْ بحُسـنِكِ أوجعـتِ الأزاميلا

ودَدْتُ لو زَرَعُوني فيـكِ مِئـذَنَـةً

أو علّقونـي على الأبـوابِ قِنديـلا

يا بلْدَةَ السَّبْعَةِ الأنـهـارِ[55] .. يا بَلَـدي

ويا قميصاً بزهـرِ الخـوخِ مشـغولا

---

[55]الأنـهار السبعة هي : بردى، يزيد، تورا، القنوات، بانياس، الديراني وعقربا.

ويـا حِصـاناً تَخلَّـى عَن أعِنَّتِـهِ

وراحَ يفـتـحُ معلـوماً ومـجهـولا

هـواكَ يا بَـرَدَى كالسَّـيْفِ يسكُنُني

ومـا مَلكْـتُ لأمـرِ الحـبِّ تَبديـلا

ما للدمشقية الكانت حبيبتنا

لا تذكر الآن طعم القبلة الأولى

أيّـامَ في دُمَّـرٍ[56] كُنّا .. وكـانَ فمـي

على ضفائرِها .. حَفْـراً .. وتَنزيـلا ..

والنـهـرُ يُسـمِعُنا أحلـى قـصائـدِه

والسَّـرْوُ يلبسُ بالسّـاقِ الخَـلاخيلا

يا مَنْ على ورقِ الصّفصَافِ يكتِبُني

شعراً ... وينقشُني في الأرضِ أيلولا

---

[56] دمر هو اسم منطقة في دمشق.

يا مَنْ يعيدُ كراريسي .. ومَدرَسَـتي

والقمحَ ، واللّوزَ ، والزُّرقَ المواويلا

يا شـامُ إنْ كنتُ أُخفـي ما أُكابـدُهُ

فأجمَـلُ الحبِّ حُـبٌّ ـ بعدَ ما قيلا ..

موال بغدادي

مُدِّي بساطي.. واملئي أكوابي

وانسي العتابَ، فقد نسيتُ عتابي

عيناكِ يا بغدادُ، منذ طفولتي

شمسانِ نائمتان في أهدابي

لا تُنكري وجهي .. فأنتِ حبيبتي

وورودُ مائدتي، وكأس شرابي

بغدادُ .. جئتُكِ كالسفينة مُتعباً

أُخفي جراحاتي وراءَ ثيابي

ورميتُ رأسي فوق صدر أميرتي

وتلاقتِ الشفتانِ بعد غيابِ

أنا ذلك البحَّارُ أنفقَ عُمرَهُ

في البحث عن حبٍّ .. وعن أحبابِ

بغدادُ .. طِرتُ على حرير عباءةٍ

وعلى ضفائر زينبٍ وربابِ

وهبطتُ كالعصفور يقصدُ عُشّهُ

والفجرُ عُرس مآذنٍ وقبابِ

حتى رأيتكِ قطعةً من جوهرٍ

ترتاحُ بين النخل والأعنابِ

حيثُ التَفَتُّ، أرى ملامحَ موطني

وأشُمُّ في هذا التراب ترابي

لم أغتربْ أبداً .. فكلُّ سحابةٍ

زرقاءَ .. فيها كبرياءُ سَحَابي

إنَّ النجومَ الساكناتِ هضابَكمْ

ذاتُ النجومِ الساكناتِ هضابي ..

بغدادُ عشتُ الحُسنَ في ألوانِهِ

لكنّ حُسنَكِ، لم يكن بحسابي

ماذا سأكتبُ عنك في كتب الهوى

فهواكِ لا يكفيه ألفُ كتابِ

يغتالُني شِعري .. فكلُّ قصيدةٍ

تمتصُّني .. تمتصُّ زيتَ شبابي

الخِنجرُ الذهبيُّ .. يشربُ من دمي

وينامُ في لحمي، وفي أعصابي

بغدادُ .. يا هَزْجَ[57] الأساور والحُلَى

---

[57] الهَزَجُ: صوتٌ مُطْرِبٌ؛ وقيل: صوت فيه بَحَحٌ؛ وقيل: صوت دقيق مع ارتفاع. وكلُّ كلامٍ مُتقارِبٍ مُتدارِك: هَزَجٌ، والجمع أهزاج. والهَزَجُ: نوع من أعاريض الشعر، وهو مفاعيلن مفاعيلن، على هذا البناء كله أربعة أجزاء، سمِّي بذلك لتقارب أجزائه، وهو مُسَدَّس الأَصل، حملاً على صاحبيه في الدائرة، وهما الرجز والرمل إذ تركيب كل واحد منهما من وتد مجموع وسببين خفيفين. وهَزَّجَ: تَغَنَّى. الهَزَج: من الأغانيِّ وفيه تَرَنُّم. التَّهَزُّج تردُّدُ التحسين في الصوت؛ وقيل: التَّهَزُّج صوت مُطَوَّل غير رفيع. والهَزَجُ: تدارك الصوت في خِفَّة وسرعة؛ يقال: هو هَزِجُ الصوت هُزامِجُه أي مُدارِكه.والهَزَجُ: الرَّنَّة.

يا مخزنَ الأضواءِ والأطيابِ

لا تظلمي وترَ الرّبابة في يدي

فالشوقُ أكبرُ من يدي وربابي

قبلَ اللقاء الحُلو .. كنتِ حبيبتي

وحبيبتي تبْقيْنَ بعد ذَهابي ..

بغداد 1962/3/8

مذكرات أندلسية

- 1 -

في إسبانيا

لمْ أحتجْ إلى دواةْ

ولا إلى حبر أسقي به عطش الورقْ

عيون مورينا روساليا

ترشني بالشوق الأسودْ

عيون مورينا روساليا

دواةٌ سوداءْ

أغطُّ فيها ولا أسألْ

وتشرب حياتي ولا تسألْ

كهودجٍ عربيّ

يحفر مصيره في الأبعادْ

يحفر مصيره

في مصيري

مدريد 1955/8/5

- 2 -

شَعْرُ ميراندا ألافيدرا الكثيفْ

المتنفِّـسُ كغابة أفريقية

أطولُ حكاية شوق سمعتـُها في حياتي

ما أكثر حكايا الشوق التي سمعتـُها في حياتي

وأكلتْ حياتي

إشبيلية 1955/8/8

- 3 -

الراقصةُ الإسبانيـة

تقول بأصابعها كلَّ شيء ..

والرقص الإسباني هو الرقص الوحيد

الذي يستحيل فيه الإصبع إلى فمْ ..

النداءُ الساخن ..

والمواعيدُ العطشى

والرضى ، والغضبْ

والشهوةُ ، والتمنّـي

كل هذا يقالْ

بشهقة إصبعْ ..

بنقرة إصبعْ ..

*

أنا في محلِّـي

وسمفونية الأصابع هناكْ

تحصدني ..

تشيلُـني ..

تحطُّـني ..

على تنُّـورة أندلسية

سرقتْ زهرَ الأندلس كله

ولم تسألْ

وسرقت نـهارَ عيونـي

ولم تسألْ ..

أنا في محلـِّي ..

والكأسُ العشرون في محلـّها

وسمفونية الأصابعِ ..

في أوج مدِّها وجزْرها

والمطرُ الأسودْ ..

المتساقط من فتحات العيون الواسعة ..

شيء لا يعرفه تاريخُ المطرْ

لا تذكره ذاكرةُ المطرْ ..

أنا في محلـِّي

فيا مطرَ الأعين السودْ ..

سألتكَ لا تنقطعْ

غرناطة 1955/8/10

- 4 -

ما تمنَّـيتُ أن أكون

عرْوةً في رداءْ ..

إلا في المتحف الحربي في مدريد

الرداء لأبي عبد الله الصغير

والسيفُ سيفهُ ..

السائحون الأجانب ..

لا يستوقفهم الرداءْ ..

ولا السيفْ ..

أما أنا ..

فيربطني بالرداءْ

وبصاحب الرداءْ

ألفُ سببْ

هل تعرفون كيف يقف الطفلُ اليتيمُ

أمام ثياب أبيه الراحل ؟

هكذا وقفتُ

أمام الجام الزجاجيّ المغلقْ

أستجدي الزركشاتْ

آكُـلُ بخيالي النسيجْ

خيطاً ..

خيطاً ..

*

ومع هذا ..

لم يتركني أبو عبد الله الصغير

وحدي في المدينة ..

كان كلَّ ليلة ..

يلبس رداءه

ويترك جامه الزجاجي في المتحف الحربي

ليمشي معي

في بولفار الكاستيانا في مدريد ..

ليدلني ..

على وريثاته الأندلسيات

واحدةً .. واحدة ..

ـ هل تعرفُ هذه الجميلة ؟

ـ لا ..

ـ هذه كان اسمها (نـُوار بنت عمَّار) وكان أبوها

عمَّار بن الأحنف رجلاً ذا فضل ويسار ،

وكانت نـُوار هذه تدرج كالقطاة بيننا وتنهض

كالنخلة المسحوبة بين لداتها في الحي ..

ـ لماذا لا نناديها يا أبا عبد الله ؟

ـ إنها لا تعرفُ اسمها ..

ـ وهل ينسى أحد اسمه ؟

- نعم .. هذا يحدث في التاريخ .. إن اسمها

الآن أصبح NORA EL AMARO بدلاً

من نُوار بنت عمَّار .

- يا نورا ..

- ماذا تريدان ؟

- لا شيء .. كلُّ ما في الأمر أن هذا الرجل

كان صديقاً لأبيك في دمشق ، وهو يرغب

في تحيتك ..

- صديقاً لأبي في دمشق ؟

- نعم أنتِ لا تذكرين ذلك . لأنك كنتِ

يومئذ طفلة ..

- ربما ..

- عمي مساءً ..

BUENAS NOCHES -

قرطبة 1955/8/12

- 5 -

القُـرْطُ الطويلْ

في أذن آنـاليزا دونـاليا

دمعة تركت الأذنَ منذ قرون

ولم تصل إلى مرفأ الكتف بعدْ ..

هذا القرط الطويلْ ..

وكلٌّ قرط طويلْ ..

في أذن كلِّ سيدة إسبانية

محاولة مستميتة

للوصول إلى مقلع الضوء

على الكتفينْ ..

*****

يا قُرْطَ آناليزا دوناليا

لا وصلتَ أبداً إلى مشتهاكْ

ولا انتهتْ رحلتك ..

لأنْ تعيش بوهم الكتف

خيرٌ ألف مرة ..

من أن تدفن طموحك في رخامها ..

يا قُـرْطَ آناليزا دوناليا ..

يا جوعَ الضوء إلى الضوءْ ..

قلبي معكْ ..

إشبيلية 1955/8/15

- 6 -

في أزقـــّة قرطبة الضيقة ..

مددتُ يدي إلى جيبي

أكثر من مرة ..

لأخرجِ مفتاحَ بيتنا في دمشقْ .

أحواضُ الشمشيرْ ..

واللـَـيْـلـَـكْ ..

والقرطاسيا ..

البـِرْكةُ الوسطى ..

عينُ الدار الزرقاءْ ..

الياسمينُ الزاحف ..

على أكتاف المخادع ..

وعلى أكتافنا ..

النافورةُ الذهبية ..

طفلة البيت المدلّـلة

التي لا تنشف لها حنجرة ..

والقاعاتُ الظليلة

أواني الرطوبة .. ومخبؤها ..

كل هذه الدنيا المطيّـبة

التي حضنتْ طفولتي في دمشق ..

وجدتــُها هنا ..

*****

فيا سيِّـدتي ،

المتكئة على نافذتها الخشبية ..

لا تراعي ،

إذا غسلتُ يدي في بِـرْكَتك ِ الصغيرة ..

وقطفتُ واحدةً من ياسميناتك ..

ثم صعدتُ الدرج .. إلى حجرة صغيرة ..

حجرةٍ شرقية .. مطعَّـمة بالصدف ..

تتسلق شبابيكَـها الشمسُ .. ولا تسألْ ..

ويتسلق أستارَها الليلكُ .. ولا يسألْ ..

حجرةٍ شرقيةٍ ..

كانت أمي تنصب فيها سريري ..

قرطبة 1955/8/18

أوراق أسبانيـة

(1)
الجسر

إسبانيا ..
جسرٌ من البكاء ..
يمتد بين الأرض والسماء ..

(2)
سونـاتـا

على صدر قيثارة باكية
تموت ..
وتولد إسبانيـة ..

(3)
الفارس والوردة

إسبانيا ..
مراوح هفـهافةٌ

تمشط الهواء ..
وأعينٌ سوداء ..
لا بدءٌ لها .. ولا انتهاءْ
قبعةٌ ترمى أمام شرفة الحبيبة .
ووردة رطيبة ..
تطير من مقصورة النساء
تحمل في أوراقها الصلاة والدعاء
لفارس من الجنوب .. أحمر الرداء
يداعب الفناء ..
وكل ما يملكه ..
سيفٌ .. وكبرياءْ ..

(4)
بيت العصافير

بإشبيليهْ
تعلق كل جميلهْ
على شعرها وردةً قانيهْ
تحطُّ عليها مساءً
جميع عصافير إسبانيهْ

(5)
مراوح الاسبانيات

إذا لملمَ الصيف أشياءهُ

ومات الربيع على الرابية
تفتح ألف ربيع جديد
على ألف مروحةٍ زاهيهْ ..

(6)
اللؤلــــؤ الأسود

شوارع غرناطةٍ في الظهيرة
حقول من اللؤلؤ الأسود ..
فمنْ مقعدي ..
أرى وطني في العيون الكبيرةْ
أرى مئذنات دمشقَ
مصورةً ..
فوق كل ضفيرةْ

(7)
دونيا ماريا

تمزقني .. دونيا مارية
بعينين أوسع من باديهْ
ووجه عليه شموس بلادي
وروعةُ آفاقها الصاحية ..
فأذكر منزلنا في دمشق
ولثغةَ بِـركته الصافية
ورقص الظلال بقاعاته

وأشجار ليمونه العاليهْ
وباباً قديماً .. نقشت عليه
بخط رديء .. حكاياتيهْ
بعينيك .. يا دونيا مارية
أرى وطني مرةً ثانية ...

(8)
القرط الطموح

على أذني هذه الغانية
تأرجح قرطٌ رفيعْ
كما يضحك الضوء في الآنية
يمد يديه .. ولا يستطيعْ
وصولاً . إلى الكتف العارية ..

(9)
الثور

برغم النزيف الذي يعتريهِ ..
برغم السهام الدفينة فيهِ ..
يظل القتيل على ما بهِ ..
أجلَّ .. وأكبرَ .. من قاتليهِ ..

(10)
نزيف الأنبياء ..

كوريدا ..
كوريدا ..
ويندفع الثور نحو الرداء
قوياً .. عنيدا ..
ويسقط في ساحة الملعب ..
كأي شهيدٍ ..
كأي نبي ..
ولا يتخلى عن الكبرياءْ ..

(11)
بقايا العرب

فلامنكو ..
فلامنكو ..
وتستيقظ الحانة الغافية
على قهقهات صنوج الخشبْ
وبحة صوتٍ حزينٍ ..
يسيل كنافورة من ذهبْ
وأجلس في زاوية
ألمُّ دموعي ..
ألمُّ بقايا العربْ ..

أحزان في الأندلس

كتبتِ لي يا غالية ..

كتبتِ تسألينَ عن إسبانية

عن طارقٍ،

يفتحُ باسم اللهِ دنيا ثانية ..

عن عقبة بن نافعٍ

يزرع شتلَ نخلةٍ ..

في قلبِ كلِّ رابية ..

سألتِ عن أميةٍ ..

سألتِ عن أميرها معاوية ..

عن السرايا الزاهية

تحملُ من دمشقَ .. في ركابها

حضارةً ..

وعافية ...

لم يبقَ في إسبانية

منّا،

ومن عصورنا الثمانية

غيرُ الذي يبقى من الخمرِ،

بجوف الآنية ..

وأعينٍ كبيرةٍ .. كبيرةٍ ..

ما زال في سوادها

ينامُ ليلُ البادية ..

لم يبقَ من قرطبةٍ

سوى دموعُ المئذناتِ الباكية

سوى عبيرِ الوردِ،

والنـارنـج ،

والأضاليه ..

لم يبق من ولاّدةٍ

ومن حكايا حُبـها ..

قافيةٌ ...

ولا بقايا قافية ..

لم يبقَ من غرنـاطةٍ ..

ومن بنـي الأحمر ..

إلا ما يقول الراويـة

وغيرُ "لا غالبَ إلا الله"

تلقاك في كلِّ زاويـة ..

لم يبقَ إلا قصرُهم

كامرأةٍ من الرخام عارية ..

تعيشُ - لا زالت- على

قصَّةِ حُبٍّ ماضية ..

مضت قرونٌ خمسةٌ

مذ رحلَ "الخليفةُ الصغيرُ" عن إسبانية ..

ولم تزل أحقادنا الصغيرة ..

كما هيَه ..

ولم تزل عقليةُ العشيرة ..

في دمنا كما هيه ...

ولم تزل حرية الرأي هنا

دجاجة مذبوحة ..

بسيف كل طاغية

حوارُنا اليوميُّ بالخناجرِ ..

أفكارُنا أشبهُ بالأظافرِ

مَضت قرونٌ خمسةٌ

ولا تزال لفظةُ العروبة ..

كزهرةٍ حزينةٍ في آنية ..

كطفلةٍ جائعةٍ وعارية

نصلبُها ..

على جدارِ الحقدِ والكراهية ..

مَضت قرونٌ خمسةٌ..

يا غالية

كأننا ..

نخرجُ هذا اليومَ من إسبانية !! ..

مدريد 1964

غرناطة

في مدخل الحمراء .. كان لقاؤنا

ما أطيب اللقيا بلا ميعاد

عينان سوداوان .. في جحريهما

تتوالد الأبعاد من أبعاد ..

هل أنت إسبانية ؟ ساءلتُها

قالت: وفي غرناطة ميلادي

غرناطة ! وصَحَتْ قرونٌ سبعة

في تينك العينين .. بعد رقاد

وأمية راياتها مرفوعة

وجيادها موصولة بجياد

ما أغرب التاريخ كيف أعادني

لحفيدة سمراء من أحفادي ..

وجه دمشقي .. رأيتُ خلاله

أجفان بلقيس ، وجيد سعاد

ورأيتُ منزلنا القديم .. وحجرة

كانت بها أمي تمد وسادي

والياسمينة رُصعتْ بنجومها

والبِركة الذهبية الإنشاد ..

*

ودمشق، أين تكون ؟ قلت: ترينها

في شعرك المنساب .. نهر سواد

في وجهك العربي، في الثغر الذي

ما زال مختـزناً شمـوس بلادي ..

في طيب "جنـات العريف"[58] ومـائـها

في الفل، في الريحـان، في الكبـاد[59]

*

سارت معي .. والشعر يلـهث خلفـها

كسنابـل تــُركـت بغيـر حصاد

يتـألـق القـرط الطـويل بجيدها

مثـل الشموع بليلـة الميـلاد ..

ومـشيت مثل الطفل خلف دليلتي

---

[58] هي حدائق في قصر الحمراء في غرنـاطة.

[59] الكباد هو الأترج والأترج Citron or Citrus Medica Cedrata من الحمضيات، ومن أسمائـه تفاح العجم وليمون اليهود. وهنـاك اختلاف بين المؤلفين. هل هو نفسه ما يدعى بالكباد (في ديار الشام) أو أن الكباد هو نوع قريب من نفس الفصيلة البرتقالية Aurantiaceae يزرع في المنـاطق المعتدلـة الحارة وثمره كالليمون الكبار ذهبي اللون، ذكي الرائحـة حامض المـاء. وقد جاء ذكره في سفر اللاويين من التوراة: (تأخذون لأنفسكم ثمر الأترج بهجة) وورد في الأحاديث النبويـة أيضا.

ووارئي التاريـخ كـوم رمـاد

الزخـرفات .. أكاد أسمع نبـضها

والزركشات على السقوف تنـادي

قالت: هنا "الحمراء" زهو جدودنا

فاقـرأ على جـدرانـها أمجـادي

أمجادها !!! ومسحت جرحاً نـازفاً

ومسحت جرحاً ثانيـاً بفـؤادي

يا ليت وارثتي الجمـيلة أدركـت

أن الـذين عنتـهم أجـدادي

*****

عانـقت فيهـا عنـدما ودعتها

رجلاً يسمـى "طـارق بن زياد" ..

غرناطة 1965

يا ست الدنيا يا بيروت

1

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ ...

مَنْ باعَ أسوارِكِ المشغولةَ بالياقوتْ ؟

من صادَر خاتمكِ السّحريَّ،

وقصَّ ضفائركِ الذهبيّهْ ؟

من ذبحَ الفرحَ النائمَ في عينيكِ الخضروايْنْ ؟

من شطبَ وجهكِ بالسّكّين،

وألقى ماءَ النارِ على شفتيكِ الرائعتينْ ؟

من سمّمَ ماءَ البحرِ،

ورشَّ الحقدَ على الشطآنِ الورديّهْ ؟

ها نحنُ أتينا .. معتذرينَ .. ومعترفينْ

أنّا أطلقنا النارَ عليكِ بروحٍ قبليّهْ ..

فقتلنا امرأة .. كانت تُدعى (الحريّهْ) ...

2

ماذا نتكلّمُ يا بيروتْ ..

وفي عينيكِ خلاصةُ حزنِ البشريّهْ

وعلى نهديكِ المحترقين .. رمادُ الحربِ الأهليّهْ

ماذا نتكلّمُ يا مروحةَ الصّيفِ،

ويا وردتَهُ الجوريّهْ ؟

من كانَ يفكّر أن نتلاقى

ـ يا بيروتُ ـ وأنتِ خرابْ؟

من كانَ يفكّر أن تنمو للوردةِ

آلافُ الأنيابْ ؟

من كانَ يفكّر أنَّ العينَ تقاتلُ

في يومٍ ضدَّ الأهدابْ ؟

ماذا نتكلّم يا لؤلؤتي ؟

يا سنبلتي ..

يا أقلامي ..

يا أحلامي ..

يا أوراقي الشعريّهْ ..

من أينَ أتتكِ القسوةُ يا بيروتْ،

وكنتِ برقةِ حوريّهْ ؟

لا أفهمُ كيف انقلبَ العصفورُ الدوريٌّ ..

لقطّةِ ليلٍ وحشيّهْ ..

لا أفهمُ أبداً يا بيروتْ

لا أفهمُ كيف نسيتِ اللهَ ..

وعُدتِ لعصرِ الوثنيّهْ ..

3

قومي من تحتِ الموجِ الأزرقِ، يا عِشتارْ

قومي كقصيدةِ وردٍ ..

أو قومي كقصيدةِ نارْ

لا يوجدُ قبلكِ شيءٌ .. بعدكِ شيءٌ .. مثلكِ شيءٌ ..

أنتِ خلاصاتُ الأعمارْ ..

يا حقل اللؤلؤ ..

يا ميناءَ العشق ..

ويا طاووسَ الماءْ ..

قومي من أجلِ الحبِّ، ومن أجلِ الشّعراءْ

قومي من أجل الخبزِ، ومن أجلِ الفقراءْ

الحبُّ يريدكِ .. يا أحلى الملكاتْ ..

والربُّ يريدكِ .. يا أحلى الملكاتْ ..

ها أنتِ دفعتِ ضريبةَ حُسنكِ

مثل جميعِ الحسناواتْ

ودفعتِ الجزيةَ عن كلِّ الكلماتْ ..

4

قومي من نومكِ ..

يا سُلطانةُ، يا نوَّارةُ،

يا قنديلاً مشتعلاً في القلبْ

قومي كي يبقى العالمُ يا بيروتْ ..

ونبقى نحنُ ..

ويبقى الحبّ ...

قومي ..

يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البحرْ

الآن عرفنا ما معنى ..

أن نقتلَ عصفوراً في الفجرْ

الآنَ عرفنا ما معنى ..

أن ندلقَ فوقَ سماءِ الصّيفِ زجاجةَ حبرْ

الآن عرفنا ..

أنّا كُنّا ضدَّ اللهِ .. وضدَّ الشّعرْ ..

5

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ ..

يا حيثُ الوعدُ الأوّلُ .. والحبُّ الأوّلُ ..

يا حيثُ كتبنا الشعرَ ..

وخبّأناه بأكياسِ المُخملْ ..

نعترفُ الآنَ .. بأنّا كُنّا يا بيروتُ،

نُحبّكِ كالبدوِ الرُحّلْ ..

ونُمارسُ فعلَ الحبِّ .. تماماً

كالبدوِ الرُحَّلْ ...

نعترفُ الآنَ .. بأنَّكِ كُنتِ خليلتنا

نأوي لفراشكِ طولَ اللّيل ...

وعندَ الفجرِ، نهاجرُ كالبدوِ الرُحَّلْ

نعترفُ الآنَ .. بأنّا كُنّا أميّينَ ..

وكُنّا نجهلُ ما نفعلْ ..

نعترفُ الآنَ، بأنّا كُنّا مِن بينِ القَتَلَهْ ..

ورأينا رأسكِ ..

يسقطُ تحتَ صخورِ الرَوْشَةِ[60] كالعصفورْ

نعترفُ الآنَ ..

بأنّا كُنّا ـ ساعةَ نُفِّذَ فيكِ الحُكمُ ـ

شهودَ الزورْ ..

6

نعترفُ أمامَ اللهِ الواحدِ ..

أنّا كُنّا منكِ نغارُ ..

---

[60] صخرة الروشة معلم سياحي لبناني عبارة عن صخرتين كبيرتين قريبة من شاطئ منطقة الروشة في بحر بيروت الغربي. وهي التي ظهرت في فيلم أبي فوق الشجرة في المشهد الذي يعانق فيه عبد الحليم حافظ نادية لطفي على متن اليخت.

وكانَ جمالكِ يؤذينا ..

نعترفُ الآنَ ..

بأنّا لم ننصفْكِ .. ولم نعذُرْكِ .. ولم نفهمْكِ ..

وأهديناكِ مكانَ الوردةِ سِكّينا ...

نعترفُ أمامَ اللهِ العادلِ ...

أنّا راودناكِ ..

وعاشرناكِ ..

وضاجعناكِ ..

وحمّلناكِ معاصينا ..

يا ستَّ الدنيا، إن الدنيا بعدكِ ليستْ تكفينا ..

الآنَ عرفنا .. أنَّ جذوركِ ضاربةٌ فينا ..

الآنَ عرفنا .. ماذا اقترفتْ أيدينا ..

7

اللهُ .. يفتّشُ في خارطةِ الجنّةِ عن لُبنـانْ

والبحرُ يفتّشُ في دفترهِ الأزرقِ عن لُبنـانْ

والقمرُ الأخضرُ ..

عادَ أخيراً كي يتزوّجَ من لُبنـانْ ..

أعطيني كفّكِ يا جوهرةَ اللّيلِ، وزنبقةَ البلدانْ

نعترفُ الآنَ ..

بأنّا كُنّا ساديّينَ، ودمويّينَ ..

وكُنّا وكلاءَ الشيطانْ

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ ..

قومي من تحتِ الرَدمِ، كزهرةِ لوزٍ في نيسانْ

قومي من حُزنكِ ..

إنَّ الثورةَ تولدُ من رحمِ الأحزانْ

قومي إكراماً للغاباتِ ..

وللأنـهارِ ..

وللوديانِ ..

قومي إكراماً للإنسانْ ..

إنّا أخطأنا يا بيروتُ ..

وجئنا نلتمسُ الغفرانْ ..

8

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ المجنونهْ ..

يا نـهرَ دماءٍ وجواهرْ ..

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ القلبِ الطيّبِ ..

يا بيروتُ الفوضى ..

يا بيروتُ الجوعِ الكافرِ .. والشّبعِ الكافرِ ..

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ العدلِ ..

ويا بيروتُ الظّلمِ ..

ويا بيروتُ السّبْيِ ..

ويا بيروتُ القاتلِ والشاعرْ ..

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ العشقِ ..

ويا بيروتُ الذبحِ من الشّريانِ إلى الشّريانْ ..

ما زلتُ أحبُّكِ رغمَ حماقاتِ الإنسانْ

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ ..

لماذا لا نبتدئُ الآنْ ؟؟

سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت

1

يا حبيبة :

بعد عامين طويلين من الغربة والنفي..

تذكّرتكِ في هذا المساء..

كنت مجنوناً بعينيكِ..

ومجنوناً بأوراقي..

ومجنونا لأنَّ الحبَّ جاء ..

ولأنَّ الشعر جاء ..

كنت أبكي ضاحكاً مثل المجاذيب .. لأني

أستطيع الآن، يا سيّدتي، أن أتذكَّر ..

مدهشٌ أن أتذكّر ..

مدهشٌ أن أتذكر ..

ليس سهلاً في زمان الحرب أن يسترجع الانسان

وجه امرأةٍ يعشقها ..

فالحرب ضدّ الذاكرة ..

ليس سهلاً في زمان القبح ..

أن أجمع أزهار المانوليا ..

والفراشاتِ التي تخرجُ ليلاً من شبابيك العيون الماطرة

قذفتني هذه الحرب بعيداً عن محيط الدائرة ..

ألغيتِ الخطَّ الحليبيَّ الذي ينزل من ثديك ..

نحو الخاصرة ..

2

يا صديقة :

عائدٌ من زمنِ اللاشعر .. عاري القدمين

عائدٌ دون شفاهٍ ..

عائدٌ دون يدين ..

إنَّ حرب السنتين[61]

كسرتني ..

كسرت سنبلة القمح التي تنبتُ بين الشفتين ..

جعلتني عاطلاً عن عمل الحبّ ...

فلم أقرأ مزاميري لعينيكِ ..

ولا قابلتُ عصفوراً غريباً ...

أو قصيدة ...

أفقدتني ذلك الطهر الطفوليَّ الذي يدخلني مملكة الله

---

[61] **حرب السنتين، هو المصطلح الذي أطلق على المرحلة الأولى من الحرب الأهلية اللبنانية بين الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينيين من جهة واليمين اللبناني الذي سانده السوريون فيما بعد من جهة أخرى. إمتدت حرب السنتين بين 13 أبريل 1975 تاريخ إندلاع شرارة المواجهات بعد حادثة عين الرمانة، و21 أكتوبر 1976 تاريخ اتفاق وقف إطلاق النار وقرار مؤتمر الرياض إرسال قوات ردع عربية.**

ويعطيني مفاتيح اللغات النادرة ..

فاعذريني.. إن تأخّرت عن الوعد قليلا ..

قلقد كان وصولي مستحيلا ..

وبريدي مستحيلا ..

إنَّ آلاف الحواجز

وقفت ما بين عينيكِ .. وبيني ..

أطلقوا النار على الحُلم فأردوه قتيلا ..

أطلقوا النار على الحبّ فأردوه قتيلا ..

أطلقوا النار على البحر، على الشمس، على الزرع،

على كُتُب الأطفال، قصّوا شعر بيروت الطويل ..

سرقوا العمر الجميلا ...

3

يا بعيدة :

أيَّ أخبارٍ تريدين عن الشعر وعني؟ ...

أخذوا بيروت مني ..

أخذوا بيروت، يا سيّدتي، منكِ ومنّي ..

سرقوا (منقوشة الزعتر) من بين يدينا ..

سرقوا (الكورنيش) .. والأصداف ..

والرمل الذي كان يغطي جسدينا ..

سرقوا منا زمان الشعر، يا لؤلؤتي،

والكتابات التي تسقط مثل الكرز الأحمر

من بين الأصابع ..

سرقوا رائحة البنّ ..

وأحلام المقاهي .. وقناديل الشوارع

ذلك الصوت الذي يصدر عنّي ليس صوتي ..

انني أكتبُ من داخل موتي ..

أين أنتِ الآن .. يا من لم أجد في هذه الغابة ..

صدراً يحتويني .. غير أنت ؟ ..

سرقوا مني طواحيني .. وفُرساني .. وفرشاتي ..

وألواني ... وأشيائي الصغيرة ..

واليواقيت التي جئتُ بها

من آخر الدنيا لفستان الأميرة ..

لم أكن أعلم يا سيّدتي ..

أنّ أشيائي الصغيرة ..

هي أشيائي الكبيرة ..

4

يا رقيقة :

جاءني هاتفك اليوم خجولا مثل عطر البرتقال

سائلاً عني .. وهل أجمل من هذا السؤال ؟ ..

إنني أحيا ..

ولكن ما الذي يعنيه يا سيّدتي

أن يكون المرءُ موجوداً على قيد الحياة ؟ ..

إن تُحبيني اسأليني كيف حال الكلمات

دخلت في جسد الشعر .. ألوف الطلقات ..

نحن من عامين .. لم نزهر ..

ولم نورق .. ولم نطرح ثمر ..

نحن من عامين لم نبرق .. ولم نرعد ..

ولم نركض كمجنونين

ـ يا سيّدتي ـ تحت المطر ..

نحن من عامين ..

لم نخرج عن المألوف في العشق ..

ولم نخرج على اليوميِّ والعادي ..

لم ندخل أقاليم الغرابة ..

آه .. كم عانيت من داء الكآبة

آه .. كم عانيت من موت الكتابة

شنقوني بخيوط المفردات

طردوني ..

خلف أسوار اللغات ..

أغلقوا في وجه حبي الطرقات ..

فتّشوني ..

لم أكن أحمل إلا وردة الشعر ..

وحزني ..

وجنوني ..

لم أكن أحمل

- إلا أنت يا سيدتي - بين عيوني ..

ولهذا أرجعوني

كنت، يا سيدتي، في موقع الحبِّ ..

لهذا لم أكن في جملة المنتصرين ..

كنت يا سيدتي، في جانب الشعر .. لهذا ..

صنفوني بورجوازياً صغيراً ..

وأضافوني إلى قائمة المنحرفين ..

لم أكن في زمن القبح قبيحاً ..

إنما كنت صديق الياسمين ...

5

يا أثيرة :

أين أنت الآن

يا من لم أجد عنوان عينيك

على كلّ الخرائط ..

أين أنت الآن

يا من لم أجد آثار أقدامكِ في كل الفنـادق

لم أعد أعرف شيئاً عنكِ ..

في أي بلادٍ أنتِ ؟

ماذا تفعلين اليوم ؟ .

ماذا تشعرين الآن ؟ .

هل ضيّعتِ إيمانك مثلي بجميع الآلـهة ..

وتقاليد القبائل ؟ .

هل تحبين كما كنتِ ؟

وتـهتمين بالشِّعر كما كنتِ ؟

وتشتـاقين للشوق كما كنتِ ؟ .

أم أنَّ الحرب داست ورق الورد .. وأعنـاقَ السنـابل ؟

بعثرتنـا هذه الحرب اللئيمـة ..

بشَّعتنـا .. شوَّهتنـا ..

أحرقت كلَّ الملفّات القديمـة ..

فملايين من الأشيـاء في داخلنـا ..

جرفتـها الحرب فيما جرفت ..

والسؤال الآن

هل في قدرة الإنسان أن يدخل في حبٍّ كبيرٍ ..

وعلاقاتٍ حميمـة ؟ ..

لا تجيبيني .. إذا كانت سؤالاتي غريبة ..

كلُّ ما يشغل بالي يا حبيبة ..

أن تكوني أنتِ في خيرٍ.. وعيناكِ بخير ..

6

أين بيروتُ التي تختال بالقبَّعة الزرقاء مثل الملكة ؟

أين بيروت التي كانت على أوراقنا ..

ترقص مثل السمكة ..

ذبحوها ..

ذبحوها ..

وهي تستقبل ضوء الفجر مثل الياسمينة ..

من هو الرابح من قتل مدينة ؟

ضّعوا بيروت، يا سيّدتي

ضيّعوا أنفسهم إذ ضيّعوها .

سقطت كالخاتم السحري في الماء .. ولم يلتقطوها ..

طاردوها مثل عصفور ربيعيٍ إلى أن قتلوها ...

هذه الورديَّةُ الجسم

التي تلبس في معصمها البحر سوارا

كم قطفنا البُنّ من أشجار نهديها ..

وحوّلنا جبال الثلج نارا ...

واكتشفناها رصيفاً .. فرصيفا ..

وبنيناها جداراً فجدارا ...

كم دخلنا بيتها البحريَّ أطفالاً صغارا ..

فلعبنا .. ورقصنا ..

وخرجنا نحمل الشمس بأيدينا ..

وأسماكاً .. وخبزاً .. ومحارا ...

فلماذا قتلوها ؟

هذه الأنثى التي كانت ترشُّ الماء ..

في وجه الصحاري ؟

7

آه يا بيروت .. يا أنثاي من بين ملايين النساء.

يا رحيلاً برتقالياً على وردٍ .. وبرقوقٍ.. وماء ..

يا طموحي ـ عندما أكتب أشعاري ـ لتقريب السماء

أيّ أخبارٍ تريدين عن الحبّ .. وعني ..

ومكاتيبي رمادٌ ..

وأحاسيسي رماد ..

سرقوا مني مساحاتٍ من الزرقةِ ليست تستعاد

ومساحاتٍ من الدهشة ليست تستعاد ..

واحتمالاتِ طيورٍ سوف تأتي ..

واحتمالات كلامٍ .. سوف يأتي ..

واحتمالاتٍ لعشقٍ ما أتى بعد ...

ولكن سوف يأتي ...

سوف يأتي ...

سوف يأتي ...

بيروت محظيتكم .. بيروت حبيبتي

1

سامحينا ..

إن تركناكِ تموتينَ وحيدهْ ..

وتسلّلنا إلى خارج الغرفةِ نبكي كجنودٍ هاربينْ

سامحينا ..

إن رأينا دمكِ الورديَّ ينسابُ كأنهارِ العقيقْ

وتفرّجنا على فعلِ الزِنا ..

وبقينا ساكتينْ ..

2

آهِ .. كم كُنّا قبيحينَ، وكُنّا جُبناءْ ..

عندما بعناكِ، يا بيروتُ، في سوقِ الإماءْ

وحجزنا الشققَ الفخمةَ

في حيِّ (الإليزيه) وفي (مايفير) لندنْ ...

وغسلنا الحزنَ بالخمرةِ، والجنسِ، وقاعاتِ القِمارْ

وتذكّرنا ـ على مائدةِ الروليتِ، أخبارَ الديارْ

وافتقدنا زمنَ الدِفْلى بلُبنانْ ..

وعصرَ الجُلَّنارْ ..

وبكينا مثلما تبكي النساءْ ..

3

آهِ .. يا بيروتُ ،

يا صاحبةَ القلبِ الذهبْ

سامحينا ...

إن جعلناكِ وقوداً وحَطبْ

للخلافاتِ التي تنهشُ من لحمِ العربْ

منذُ أن كانَ العربْ !!

4

طمئنيني عنكِ ...

يا صاحبةَ الوجهِ الحزينْ

كيفَ حالُ البحرِ ؟

هل هم قتلوهُ برصاصِ القنصِ مثلَ الآخرينْ ؟

كيفَ حالُ الحبِّ ؟

هل أصبحَ أيضاً لاجئاً ..

بين ألوفِ اللاجئينْ ؟ ...

كيفَ حالُ الشعرِ ؟

هل بعدكِ ـ يا بيروتُ ـ من شعرٍ يُغنّى ؟

ذبَحَتنا هذهِ الحربُ التي من غيرِ معنى ..

أفرغتْنا من معانينا تماماً ..

بعثرتْنا في أقاصي الأرضْ ..

منبوذينَ ..

مسحوقينَ ..

مَرضى ..

مُتعبينْ ..

جعلتْ منّا ـ خلافاً للنبوءاتِ ..

يـهوداً تائـهينْ ...

5

هذهِ المرّةُ .. لم يغدرْ بنـا

جيشُ إسرائيلْ ..

لكنّا انتحرنـا ...

6

إصفحي، سيّدتي بيروتُ، عنّا

نحنُ لم نـهجركِ مختارينَ .. لكنّا قرِفنـا ..

من مراحيضِ السّياسه ..

وملَلنـا ..

من ملوكِ السّيركِ .. والسيركِ .. وغشِّ اللاعبينْ

وكفرنا..

بالدكاكينِ التي تملأُ أرجاءَ المدينهْ ..

وتبيعُ الناسَ حقداً وضغينهْ ..

وبطاطينَ .. وسجاداً .. وبنزيناً مهربْ ..

آهِ يا سيّدتي كم نتعذّبْ ..

عندما نقرأُ أنَّ الشّمس في بيروتَ، صارتْ

كُرةً في أرجلِ المرتزقينْ ...

7

ما الذي نكتبُ، يا سيّدتي ؟

نحنُ محكومونَ بالموتِ، إذا نحنُ صَدَقنا ..

ثمّ محكومونَ بالموتِ، إذا نحنُ كذبنا

ماذا نكتبُ يا سيّدتي ؟

نحنُ لا نملكُ أن نحتجَّ ..

أو نصرخَ ..

أو نبصقَ ..

أو نكشفَ عن خيبتنا ..

أو نتمنّى ..

أخرستنا هذهِ الحربُ التي من غيرِ معنى ...

8

طلبوا منّا بأن ندخلَ في مدرسةِ القتلِ ..

ولكنّا رفضنا ..

طلبوا أن نشطرَ الربَّ لنصفينِ ..

ولكنّا اختجلنا ..

إننا نؤمنُ باللّهِ ..

لماذا جعلوا اللهَ هنا .. من غيرِ معنى ؟

طلبوا منّا بأن نشهدَ ضدَّ الحبِّ ..

لكنْ ما شهدنا ..

طلبوا منّا .. بأن نشتمَ بيروتَ التي قمحاً .. وحبّاً

وحناناً .. أطعمَتْنا ...

طلبوا ..

أن نقطعَ الثديَ الذي من خيرهِ، نحنُ رضِعنا ..

فاعتذرنا ..

ووقفنا ضدَّ كلِّ القاتلينْ

وبقينا مع لُبنانَ سهولاً .. وجبالا ..

وبقينا مع لُبنانَ جنوباً .. وشمالا ..

وبقينا معَ لُبنانَ صليباً .. وهلالا ..

وبقينا معَ لُبنانَ الينابيعِ ..

ولُبنانَ العناقيدِ ..

ولُبنان الصبابهْ ..

وبقينا معَ لُبنانَ الذي علّمنا الشعرَ ..

وأهدانا الكتابهْ

9

آهِ يا سيّدتي بيروتْ ..

لو جاءَ السّلامْ ..

ورجعنا، كالعصافيرِ التي ماتتْ من الغُربةِ والبردِ ..

لكي نبحثَ عن أعشاشنا بينَ الحُطامْ ..

ولكي نبحثَ عن خمسينَ ألفاً ..

قُتلوا من غيرِ معنى ..

ولكي نبحثَ عن أهلٍ وأحبابٍ لنا

ذهبوا من غيرِ معنى ..

وبيوتٍ .. وحقولٍ .. وأراجيحَ .. وأطفالٍ ..

وألعابٍ .. وأقلامٍ .. وكُرّاساتِ رسمٍ ..

أُحرقتْ من غيرِ معنى ...

آهِ ... يا سيّدتي بيروتْ ..

لو جاءَ السلامْ

ورجعنا ..

كطيورِ البحرِ، مذبحوينَ شوقاً وحنينا

وبنا شوقٌ إلى (منقوشةِ الزّعترِ) .. واللّيلْ ..

ومَن كانوا يبيعونَ عقودَ الياسمينْ

فمنَ الجائزِ، يا بيروتُ، أن لا تعرفينا ..

قد تغيّرتِ كثيرا ..

وتغيّرنا كثيرا ..

وكبرنا نحنُ - في عامينِ - آلافَ السنينْ

10

إحتملنا نفيَنا عشرينَ شهرا ..

وشربنا دمعنا عشرينَ شهرا ..

وبحثنا في زوايا الأرضِ عن عشقٍ جديدٍ

غيرَ أنّا ما عشقنا ..

وشربنا الخمرَ من كلِّ الدوالي ..

غيرَ أنّا ما سكِرنا ..

وبحثنا عن بديلٍ لكِ،

يا أعظمَ بيروتَ ..

ويا أطيبَ بيروتَ ..

ويا أطهرَ بيروتَ ..

ولكنْ ما وجدنا

ورجعنا ..

نلثمُ الأرضَ التي أحجارُها تكتبُ شعرا ..

والتي أشجارُها تكتبُ شعرا ..

والتي حيطانُها تكتبُ شعرا ..

وأخذناكِ إلى الصّدرِ ..

حقولاً .. وعصافيرَ .. وكورنيشاً .. وبحرا ..

وصرخنا كالمجانينِ على سطحِ السّفينهْ :

أنتِ بيروتْ ..

ولا بيروتُ أخرى

إلى بيروت الأنثى مع الاعتذار

كَان لُبنَانُ لَكُم مَروَحَــــةً ...

تَنشُرُ الألوَانَ وَالظِلَّ الظَلِيــلا

كَم هَربتمُ مِن صَحَاريكُم إلَيهِ ..

تَطلُبونَ اَلمَاءَ .. وَ الوَجهَ الجَمِيــلا ..

واغتَسَلتُم بنَدَى غَابَاتــــِهِ

واختَبَأتُم تَحتَ جِفنَيه طَويــلا

وتَسَلَّقتُم عَلَى أشجَــارِهِ

وسَرَحتُم فِي بَرَارِيه وُعـُولا

وشَربتمُ مِن خَوَابِيه[62] نَبيــذاً

وَسَمِعتُم مِن شَوَادِيهِ[63] هَدِيـــلا

---

[62] خَابِية : والجمع خوابي، وهو وعاء يُحفظ فيه الماء.

وقطفتمُ مِن رَوَابيهِ الخُزَامَى

وَالعُيُونَ الخُضرَ .. وِ الخَدَّ الأسِيلاَ ..

واقتَنَيتمُ شَمسَهُ لُؤلُـــؤَةً

وركبتمُ أنجمُ اللَّيلِ خُيُـــولاَ ..

إنَّهُ عَلّمَّكُم أن تَعشَقـُوا ..

لَم يَكُن لُبنَانُ فِي العُشقِ بَخيِـلاَ ..

إنَّهُ عَلَمَّكُم أن تَقـرَأوا ...

هَل تَقولون لَهُ : " شُكراً جَزِيـلاَ " ؟ ..

آه يَا عُشَّاقَ بَيرُوتَ القُدَامَى

هَل وَجَدتُم بَعدَ بَيرُوتَ البَدِيلاَ ؟

إنَّ بَيرُوتَ هِيَ الأُنثى الَتِي ...

تَمنَحُ الخَصبَ وَتُعطِينَا الفُصُولاَ ..

---

[63] جمع شادي وهو الطائر المغرد.

إن يَمُتْ لُبنَانُ ... مِتُّم مَعَهُ

كُلُّ مَن يَقتُلُهُ ... كَانَ القَتِيــلاَ ..

كُلُّ قُبحٍ فِيه .... قُبحٌ فِيكُمُ

فَأعِيدُوهُ .. كَمَا كَانَ جَمِيـــــلاَ ..

إنَّ كَوناً لَيسَ لُبنَانُ فِيــهِ

سَوفَ يَبقَى عَدَماً أو مُستَحِيـلاَ ..

كُلُّ مَا يَطلُبُهُ لُبنَانُ مِنـكُم

أن تُحِبُوهُ .... تُحِبُّوهُ قَلِيـلاَ ...

أنا يا صديقة متعبٌ بعروبتي [64]

يا تونس الخضراء جئتك عاشقاً

وعلى جبيني وردة وكتاب

إني الدمشقي الذي احترف الهوى

فاخضوضرت بغنائه الأعشاب

أحرقت من خلفي جميع مراكبي

إن الهوى أن لا يكون إياب

أنا فوق أجفان النساء مكسر

قطع فعمري الموج والأخشاب

---

[64] هذه القصيدة الرائعة كتبها نزار قباني في تونس عند زيارته لها بمناسبة مهرجان الشعر بمدينة القيروان عام 1980. ألقيت في المهرجان الذي أقامته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في مدينة تونس بتاريخ 1980/3/22 بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاماً على تأسيس الجامعة العربية .

لم أنس أسماء النساء .. وإنما

للحسن أسباب ولي أسباب

يا ساكنات البحر .. في قرطاجة

جف الشذى وتفرق الأصحاب

أين اللواتي حبهن عبادة

وغيابهن وقربهن عذاب

اللابسات قصائدي ومدامعي

عاتبتهن فما أفاد عتاب

أحببتهن وهن ما أحببنني

وصدقتهن ووعدهن كذاب

إني لأشعر بالدوار .. فناهد

لي يطمئن .. وناهد يرتاب

هل دولة الحب التي أسستها

سقطت عليَّ .. وسُدت الأبواب

تبكي الكؤوس ، فبعد ثغر حبيبتي

حلفت بأن لا تُسكر الأعناب

أيصدني نهد تعبت برسمه ؟

وتخونني الأقراط والأثواب ؟

ماذا جرى لممالكي وبيارقي ؟

أدعو رباب .. فلا تجيب رباب

أأحاسب امرأة على نسيانها

ومتى استقام مع النساء حساب ؟

ما تبت عن عشقي .. ولا استغفرته

ما أسخف العشاق لو هم تابوا ...

2

قمر دمشقي يسافر في دمي

وبلابل .. وسنابل .. وقباب

الفل يبدأ من دمشق بياضُه

وبعطرها تتطيب الأطياب

والماء يبدأ من دمشق .. فحيثما

أسندت رأسك جدول ينساب

والشعر عصفور يمد جناحه

فوق الشام .. وشاعر جواب

والحب يبدأ من دمشق .. فأهلنا

عبدوا الجمال وذوبوه .. وذابوا ..

والخيل تبدأ من دمشق مسارها

وتشد للفتح الكبير ركاب

والدهر يبدأ من دمشق .. وعندها

تبقى اللغات وتحفظ الأنساب

ودمشق تعطي للعروبة شكلها

وبأرضها تتشكل الأحقاب

3

بدأ الزفاف فمَن تكون مضيفتي

هذا المساء ومن هو العراب ؟

أأنا مغني القصر .. يا قرطاجة

كيف الحضور ؟ وما عليَّ ثياب

ماذا أقول ؟ فمي يفتش عن فمي

والمفردات حجارة وتراب ..

فمآدب عربية .. وقصائد

همزية .. ووسائد وحُبَاب

لا الكأس تنسينا مساحة حزننا

يوماً .. ولا كل الشراب شراب

من أين يأتي الشعر يا قرطاجة

والله مات .. وعادت الأنصاب

من أين يأتي الشعر ؟ حين نهارنا

قمعٌ ، وحين مساؤنا إرهاب

سرقوا أصابعنا .. وعطر حروفنا

فبأي شيء يكتب الكُتَّاب ؟

والحُكم شرطيٌ يسير وراءنا

سراً .. فنكهة خبزنا استجواب

الشعر .. رغم سياطهم وسجونهم

ملكٌ .. وهم في بابه حُجّاب ..

4

من أين أدخل في القصيدة يا ترى ؟

وحدائق الشعر الجميل .. خراب

لم يبق في دار البلابل بلبل

لا البحتري هنا .. ولا زرياب

شعراء هذا اليوم جنسٌ ثالثٌ

فالقول فوضى .. والكلام ضباب

يتكلمون مع الفارغ .. فما هم

عجمٌ إذا نطقوا .. ولا أعراب

اللاهثون على هوامش عمرنا

سيان إن حضروا وإن هم غابوا ..

يتهكمون على النبيذ معتقاً

وهم على سطح النبيذ ذباب

الخمر تبقى إن تقادم عهدها

خمراً .. وقد تتغير الأكواب

5

مِن أين أدخل في القصيدة يا ترى ؟

والشمس فوق رؤوسنا سرداب

إن القصيدة ليس ما كتبت يدي

لكنها ما تكتب الأهداب ..

نار الكتابة أحرقت أعمارنا

فحياتنا الكبريت والأحطاب

ما الشعر؟ ما وجع الكتابة ؟ ما الرؤى؟

أولى ضحايانا هم الكُـتـَّـاب

يعطوننا الفرح الجميل .. وحظهم

حظ البغايا .. ما لهن ثواب

يا تونس الخضراء .. هذا عالمٌ

يثرى به الأمي .. والنصاب ..

فمن الخليج إلى المحيط .. قبائل

بَطِرَت فلا فكر ولا آداب

في عصر زيت الكاز .. يطلب شاعر

ثوباً وترفل بالحرير قِحاب !!!

6

هل في العيون التونسية شاطيء

ترتاح فوق رماله الأعصاب ؟

أنا يا صديقة متعب بعروبتي

فهل العروبة لعنة وعقاب ؟

أمشي على ورق الخريطة خائفاً

فعلى الخريطة كلنا أغراب ..

أتكلم الفصحى أمام عشيرتي

وأعيد .. لكن ما هناك جواب

لولا العباءات التي التفوا بها

ما كنت أحسب أنهم أعراب ..

يتقاتلون على بقايا تمرة

فخناجر مرفوعة وحراب

قبلاتهم عربية .. مَن ذا رأى

فيما رأى قـُبَلاً لها أنياب

7

يا تونس الخضراء .. كأسي علقم

أعلى الهزيمة تـُشرب الأنخاب ؟

وخريطة الوطن الكبير فضيحة

فحواجز .. ومخافر .. وكلاب

والعالم العربي .. إما نعجة

مذبوحة أو حاكم قصَّاب

والعالم العربي يرهن سيفه

فحكاية الشرف الرفيع سراب

والعالم العربي يخزن نفطه

في خصيتيه .. وربك الوهاب

والناس قبل النفط أو من بعده

مستنزفون فسادة ودواب

8

يا تونس الخضراء كيف خلاصنا ؟

لم يبق من كتب السماء كتاب ..

ماتت خيول بني أمية كلها

خجلاً .. وظل الصرف والإعراب

فكأنما كتب التراث خرافة

كبرى ، فلا عمر .. ولا خطاب

وبيارق ابن العاص تمسح دمعها

وعزيز مصر بالفصام مصاب

مَن ذا يصدق أن مصر تهودت

فمقام سيدنا الحسين يباب[65]

ما هذه مصر .. فإن صلاتها

عبرية .. وإمامها كذاب

ما هذه مصر .. فإن سماءها

---

[65] **اليباب: الخالي لا شئ فيه .. الجدب .. الخراب. وهنا يفضح السادات وخيانته.**

صغرت وإن نساءها أسلاب

إنْ جاء كافور .. فكم مِن حاكم

قهر الشعوب وتاجه قبقاب ...

9

بحرية العينين .. يا قرطاجة

شاخ الزمان وأنتِ بعد شباب

هل لي بعرض البحر نصف جزيرة ؟

أم أن حبي التونسي سراب

أنا متعب .. ودفاتري تعبت معي

هل للدفاتر يا ترى أعصاب ؟

حزني بنفسجة يبللها الندى

وضفاف جرحي روضة مِعشاب

لا تعذليني .. إنْ كشفتُ مواجعي

وجه الحقيقة ما عليه نقاب

الجنون وراء نصف قصائدي

أوليس في بعض الجنون صواب ؟

فتحملي غضبي الجميل فربما

ثارت على أمر السماء هضاب

فإذا صرختُ بوجه مَن أحببتهم

فلكِ يعيش الحب والأحباب

وإذا قسوتُ على العروبة مرة

فلقد تضيق بكحلها الأهداب

فلربما تجد العروبة نفسها

ويضيء في قلب الظلام شهاب

ولقد تطير مِن العقال حمامة

ومِن العباءة تطلع الأعشاب

10

قرطاجة .. قرطاجة .. قرطاجة ..

هل لي لصدرك رجعة ومتاب ؟

لا تغضبي مني .. إذا غلب الهوى

إن الهوى في طبعه غلاب

فذنوب شعري كلها مغفورة

والله جل جلاله التواب ..

المهرولون [66]

-1-

سقطت آخر جدرانِ الحياءْ.

و فرِحنا.. و رقصنا..

و تباركنا بتوقيع سلامِ الجُبنَاءْ

لم يعُد يُرعبنا شئٌ..

و لا يُخْجِلُنا شئٌ..

فقد يَبسَتْ فينا عُرُوق الكبرياءْ...

-2-

سَقطَتْ..للمرّةِ الخمسينَ عُذريَّتُنَا..

[66] عن اتفاقية أوسلو الشهيرة في عام 1995 وتصلح عموما عن التطبيع واتفاقيات الاستسلام والخيانة مع العدو الصهيوني منذ كامب ديفيد السادات حتى خارطة الطريق وما قبلها وما بعدها

دون أن نـهتَّز.. أو نصرخَ..

أو يرعبنـا مرأى الدماءْ..

و دخَلنَا في زَمان الـهروَلَة..

و و قفنـا بالطوابير، كأغنامٍ أمامَ المقصلـة.

و ركَضنَا.. و لَهثنـا..

و تسابقنـا لتقبيلِ حذاء القتَلَة..

-3-

جَوَّعوا أطفالنـا خمسينَ عاماً.

و رَموا في آخرِ الصومِ إلينـا..

بَصلَة...

-4-

سَقَطَتْ غرنـاطةٌ

ـ للمرّة الخمسينَ ـ من أيدي العَرَبْ.

سَقَطَ التاريخُ من أيدي العَرَبْ.

سَقَطتْ أعمدةُ الرُوح، و أفخاذُ القبيلَة.

سَقَطتْ كلُّ مواويلِ البُطُولة.

سَقَطتْ كلُّ مواويلِ البطولة.

سَقَطتْ إشبيلَية.

سَقَطتْ أنطاكيَه..

سَقَطتْ حِطّينُ من غير قتالٍ..

سَقَطتْ عمُّوريَة..

سَقَطتْ مريمُ في أيدي الميليشياتِ

فما من رجُلٍ ينقذُ الرمز السماويَّ

و لا ثَمَّ رُجُولَة...

-5-

سَقطتْ آخرُ محظّيّاتنا

في يَدِ الرُومِ، فعنْ ماذا نُدافعْ؟

لم يَعُد في قصرِنا جاريةٌ واحدةٌ

تصنع القهوةَ و الجِنسَ..

فعن ماذا ندافِعْ؟؟

-6-

لم يَعُدْ في يدِنَا

أندلسٌ واحدةٌ نملكُها..

سَرَقُوا الابوابَ

و الحيطانَ و الزوجاتِ، و الأولادَ،

و الزيتونَ، و الزيتَ

و أحجار الشوارعْ.

سَرَقُوا عيسى بنَ مريَمْ

و هو ما زالَ رضيعاً..

سرقُوا ذاكرةَ الليمُون..

و المُشمُشِ.. و النَعناعِ منّا..

و قناديلَ الجوامِعْ...

-7-

تَرَكُوا عُلْبةَ سردينٍ بأيدينا

تُسمَّى (غَزَّةً)..

عَظمةً يابسةً تُدعى (أريحا)..

فُندقاً يُدعى فلسطينَ..

بلا سقفٍ لا أعمدَةٍ..

تركوُنا جَسَداً دونَ عظامٍ

و يداً دونَ أصابعْ...

-8-

لم يَعُد ثمّةَ أطلال لكي نبكي عليها.

كيف تبكي أمَّةٌ

أخَذوا منها المدامعْ؟؟

-9-

بعد هذا الغَزَلِ السِرِيِّ في أوسلُو

خرجنا عاقرينْ..

وهبونا وَطناً أصغر من حبَّةِ قمحٍ..

وطَناً نبلعه من غير ماءٍ

كحبوب الأسبرينْ!!..

-10-

بعدَ خمسينَ سَنَةْ..

نجلس الآنَ، على الأرضِ الخَرَابْ..

ما لنا مأوى

كآلافِ الكلاب!!.

-11-

بعدَ خمسينَ سنةً

ما وجدْنا وطناً نسكُنُه إلا السرابْ..

ليس صُلحاً،

ذلكَ الصلحُ الذي أُدخِلَ كالخنجر فينا..

إنه فِعلُ إغتصابْ!!..

-12-

ما تُفيدُ الهرولَةُ؟

ما تُفيدُ الهَرولة؟

عندما يبقى ضميرُ الشَعبِ حِيَّاً

كفَتيلِ القنبلة..

لن تساويَ كل توقيعاتِ أوسْلُو..

خَردلَة!!..

-13-

كم حَلمنا بسلامٍ أخضرٍ..

و هلالٍ أبيضٍ..

و ببحرٍ أزرقٍ.. و قلوع مرسلَة..

و وجدنا فجأة أنفسَنا.. في مزبلَة!!.

-14-

مَنْ تُرى يسألهمْ عن سلام الجبناءْ؟

لا سلام الأقوياء القادرينْ.

من ترى يسألهم

عنْ سلامِ البيعِ بالتقسيطِ..

و التأجيرِ بالتقسيطِ..

و الصَفْقاتِ..

و التجارِ و المستثمرينْ؟.

من ترى يسألهُم

عن سلامِ الميِّتين؟

أسكتوا الشارعَ

و اغتالوا جميعَ الأسئلة..

و جميعَ السائلينْ...

-15-

... و تزوَّجنا بلا حبٍّ..

مِن الأنثى التي ذاتَ يومٍ أكلت أولادنا..

مضغتْ أكبادنا..

و أخذناها إلى شهرِ العسلْ..

و سكِرْنا.. و رقصنا..

و استعدنا كلَّ ما نحفظ من شِعر الغزَلْ..

ثم أنجبنا، لسوء الحظِّ، أولاد معاقينَ

لهم شكلُ الضفادعْ..

و تشَرّدنا على أرصفةِ الحزنِ،

فلا ثمة بَلَدٍ نحضُنُهُ..

أو من وَلَدْ!!

-16-

لم يكن في العرسِ رقصٌ عربيٌّ.

أو طعامٌ عربيٌّ.

أو غناءٌ عربيٌّ.

أو حياء عربيٌّ.

فلقد غاب عن الزفَّةِ أولاد البَلَدْ..

-17-

كان نصفُ المَهرِ بالدولارِ..

كان الخاتمُ الماسيُّ بالدولارِ..

كانت أُجرةُ المأذون بالدولارِ..

و الكعكةُ كانتْ هبةً من أمريكا..

و غطاءُ العُرسِ، و الأزهارُ، و الشمعُ،

و موسيقى المارينزْ..

كلُّها قد صُنِعَتْ في أمريكا!!.

-18-

و انتهى العُرسُ..

و لم تحضَرْ فلسطينُ الفَرحْ.

بل رأتْ صورتها مبثوثةً عبر كلِّ الأقنية..

و رأت دمعتها تعبرُ أمواجَ المحيطْ..

نحو شيكاغو.. و جيرسي..و ميامي..

و هيَ مثلُ الطائرِ المذبوحِ تصرخْ:

ليسَ هذا الثوبُ ثوبي..

ليس هذا العارُ عاري..

أبداً .. يا أمريكا..

أبداً .. يا أمريكا..

أبداً .. يا أمريكا..

المتنبي و أم كلثوم على قائمة التطبيع

- 1 -

وصل قطار التطبيع الثقافي

إلى مقاهينا ...

و صالوناتنا ...

و غرف نومنا المكيفة الهواء ...

و نزل منه أشخاص غامضون

يحملون معهم معاجم ... ودواوين شعر

ومصاحف مكتوبة باللغة العبرية ...

و يحملون معهم جرائد تقول

إن شاعر العرب الأكبر ..

أبا الطيب المتنبي

صار وزيرا للثقافة في حكومة حزب العمل ! !

و أن مطربة العرب الأولى

السيدة أم كلثوم

سوف تغني قصيدة جديدة لشاعر إسرائيلي

و هكذا يستقيل الشعر العربي من كبريائه

وتنسى عصافيرنا

غناء المقامات و التواشيح ! !

- 2 -

هذا زمن التطبيع ... يا سيدتي

يهجم علينا بكل سماسرته ... وشيكاته ...

و مافياته ...

ليجردنا من آخر ورقة توت ... تستقر بها

أجسادنا ...

آخر قصيدة ندافع بها عن أنفسنا ..

هذا زمن (التركيع) .. يا سيدتي

يدخل علينا ...

مرة بشكل فيلسوف ..

ومرة بشكل كاهن

و مرة بشكل جنرال

و مرة بشكل كومسيونجي .

إلى أن يصبح الوطن العربي

مركزا للصرافة ...

وبيتا للدعارة ! ! ..

- 3 -

تطبيع في الصباح و تطبيع في المساء

و تطبيع في الشارع

وتطبيع في المقهى

حتى صرنا (طبعة ثانية)

صادرة باللغة العبرية ..

من كتاب الأغاني ! ! ..

- 4 -

لذلك فكرت في تطبيع علاقاتنا العاطفية ...

قبل أن يصل المقاولون ...

و المتعهدون ...

و تجار الشنطة

و مندوب صندوق النقد الدولي ..

و ممثل G . A . T . T[67]

وقائد حلف الناتو ...

و أميرال الأسطول السادس .

ورئيس مجلس إدارة النظام العالمي الجديد

وعندئذ ... يكون كل شيء جاهزا

للتوقيع على شهادة وفاة التاريخ العربي

بالسكتة القومية ! ! ...

---

[67] الجات General Agreement on Tariffs and Trade اختصار الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة .

- 5 -

أريد أن أطبع علاقتي ...

مع امرأة من لحمي و دمي ...

تعبق بشرتها

رائحة النرجس ، و الريحان ، و الورد البلدي

و الصابون النابلسي ...

و تتجمع في صوتها ... أسراب الحمام ...

وشُتول الياسمين الدمشقي ...

- 6 -

أريد أن أشرب قهوة الكابوتشينو ... معك ...

و آكل مناقيش الزعتر معك ...

و أتحدث في السياسة معك

وفي الثقافة معك ...

وفي الحب معك ...

و لا مع البولونيات ...و الهنغاريات ...

و التشيكيات ... و الروسيات ...

القادمة إلينا من حقائب أمريكية ...

ومعهن .. كل عناوين البيوت الفلسطينية ! ! ..

- 7 -

أريد أن ألثم يديك ...

قبل أن تفرغ أكواز العسل

و أن أتصالح مع شفتيك .

قبل أن يرحل موسم شقائق النعمان ..

و أن أعلمك أوزان الشعر

قبل أن يقتلوا الخليل بن أحمد الفراهيدي ! ! ...

- 8 -

أريد ...

أن أنام في جوف راحتيك الصغيرتين ...

قبل أن نصبح ـ أنت و أنا ـ

أعضاء في نادي العراة

و أقلية مضطهدة

في وطن يتدحرج ككرة البلياردو

تحت سواحل البحر الميت .

- 9 -

أريد ...

أن أسمعك قصيدة حب واحدة ..

فهذه فرصتي الثقافية الأخيرة

قبل أن يسجلوا صوتي

و يراقبوا هاتفي ..

ويراقبوا هاتفي ...

ويختموا بالشمع الأحمر ذاكرتي ...

هذه فرصتي الأخيرة ...

حتى أدافع عنك ... وعن حريتي

وعن زمن الشعر ... و الياسمين ...

- 10 -

أريد أن أحتفظ بآخر قميص كبرياء ألبسه

قبل أن يرموني كيوسف في غيابة الجب ...

و يكتموا خبر موتي ... عن أبي ...

- 11 -

أريد أن ألتصق بك قليلا ..

حتى أشعر بشيء من الدفء

وشيء من الأمان

وشيء من الكبرياء

و حتى أشعر أن هناك امرأة ...

تستطيع أن ترمم هذا الخراب

الذي يتراكم فوق قلبي ...

وفوق دفاتري ..

- 12 -

ربما كان الحب يا سيدتي

تعويضا عادلا .. عن هذا السقوط القومي

الكبير ...

وربما كان زورق النجاة الأخير ...

في بحر الكراهية العربي ...

وطوفان الشعوبية الجديدة ...

- 13 -

إن العالم كله يدور من حولي

و الصفقات المالية تعقد من ورائي

و المقاولون يملأون فنادق المنطقة ...

و البيع و الشراء في أوجه

و الدولارات تتناثر ...

و الضمائر تتناثر ...

و السماسرة يعدون الوثائق الرسمية ...

لبيع التاريخ ...

- 14 -

إن المشهد سينمائي حقا ...

فثمة دولة من أقاصي الخليج

لم يسبق لها أن جرحت إصبعها

في أية حرب مع إسرائيل ...

تتبرع بكتابة أول رسالة غزل مكشوف إليها ...

قبل عيد فالنتاين بوقت طويل ...

- 15 -

وثمة دول ...

أخذتها نوبة من النوستالجيا

إلى رحاب المسجد الأقصى

فرمت سفراءها بالباراشوت ...

ليحطوا سلاما على حائط المبكى ...

باعتبارهم من أهل العروس ! ! ...

حتى لا تضيع عليهم علبة الملبس ...

وفرصة التقاط الصور التذكارية ! ! ...

- 16 -

هذا هو مسرح اللامعقول

بل هذا هو المسرح التجريبي

الذي أدخل الجمهور العربي ...

في مرحلة الكوما[68] ... و الصرع ...

و انهيار الأعصاب ...

- 17 -

الذين زاروا أخيرا ...

قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق

قالوا بأنه مصاب بحالة اكتئاب ...

و ممتنع عن قراء الصحف ... ومشاهدة

---

[68] الغيبوبة بالإنجليزية **Coma**

التلفزيون

و إنه يرفض إجراء أي حوار مع الصحافة

العالمية

حول التطبيع ... و المطبعين

و (الهرولة) ... و (المهرولين)

- 18 -

اسمحي لي يا سيدتي

أن ألمس قفطان البروكار الدمشقي[69] الذي تلبسينه ...

حتى أستعيد توازني النفسي ... و القومي

فأنا لا أفهم ...

لماذا لا يُطَبِّع العرب مع العرب ... أولا ؟

---

[69] يعتبر قماش البروكار الدمشقي أشهر وأفخر أنواع الأقمشة والمنسوجات في العالم. ويصنع القماش من خيوط الذهب والفضة والحرير الطبيعي. وتنفرد به مدينة دمشق في سورية منذ القدم وله حرفيه وصناعة المتخصصين والمشهورين ويقترن البروكار عالميا باسم دمشق.

و لماذا يتقاتل التاريخ مع التاريخ ؟

و القبيلة مع القبيلة ؟

و اللغة مع اللغة ؟ ..

- 19 -

أريد أن أسأل ...

لماذا في بلادنا ، تتقاتل الأفعال مع الأسماء ...

و الألف مع الباء ...

و الحليب مع الأثداء ...

و تقف النساء ضد حرية النساء ؟

- 20 -

ثم لماذا يفترس الإسلام نفسه ؟

و تنفجر العروبة من داخلها ...

كسيارة مفخخة ؟ ؟ ...

- 21 -

متى أتعلم الواقعية ؟

أو ما فوق الواقعية ؟

و أركض مع الراكضين

للحصول على شريحة لحم من كتف الوطن ؟

حيث الذبائح كثيرة

و الذابحون أكثر

و أنا أتطلع إلى المنسف الكبير

و لا أتجرأ على مد أصابعي

لأن أمي ـ رحمها الله ـ ولدتني نباتيا

يأكل حشيش الشعر ...

و حشيش الحب ...

و حشيش الأحلام ...

- 22 -

لماذا لم أتعلم من السلاحف فضيلة الزحف ؟

و من أسماك القرش ... فضيلة الانقضاض ؟

و من العلق ... فضيلة مص الدماء ؟

و من بعض الشعراء ... فضيلة الشحاذة ؟

ومن المستبدين العرب

فضيلة أكل شعوبهم .

- 23 -

متى سأستقيل من المدرسة الرومانسية ؟

التي بقيت فيها خمسين عاما ...

بهلولا يتسلى بكتابة الشعر !

ولم أحصل على صفقة واحدة ...

أو على رشوة واحدة ...

أو على فيلا واحدة ...

أو على امرأة واحدة ...

تتزوجني لوجه الشعر ...

أو لوجه الأدب العربي ...

أو لوجه الانحطاط العربي ؟ ؟ .

- 24 -

متى سوف أتوب عن الحب ... و عن الصراخ

و عن الكتابة ؟

لا جواب عندي الآن لهذه الأجوبة المستحيلة .

و لكنني سوف أجيبكم بعد موتي ! ! ...

- 25 -

هل تعرفين الآن يا سيدتي ؟

لماذا أريد تطبيع علاقاتي العاطفية معك ؟

لأنني أريد أن أحب امرأة عربية ...

امرأة عربية واحدة

لا تحمل على جسدها آثار التطبيع ! ! ...

لــندن 1996

اليوميات السرية لبهية المصرية

كان اسمه

كما يقال أنور السادات

كان اسمه المأساة

والعلم عند الله والرواة

و كان يمشي

خلف عبد الناصر العظيم

مثل الشاة

منحنيا.. منكسرا نصفين

وشاحبا.. وصامتا.. وزائغ العينين

وكان أقصى حلمه

في أول الثورة أن يهتم بالحقائب

وأن يقول للرئيس آخر النكات

*****

كنا نراه دائما

يجلس في سيدنا الحسين

يستغفر الله

ويتلو سورة الرحمن

كنا نظنه أنه يرتل القرآن

لكنه فاجأنا... وأخرج التوراة

*****

كنا نظن أنه

سيدخل القدس على حصانه

و يستعيد المسجد الأقصى من الأسر

ويدعو الناس للصلاة

لكنه فاجأنا

وسلم الأرض من النيل إلى الفرات

هل أصبحت راشيل في تاريخنا خديجة؟

و صار موسى... أنور السادات

و يا للعجب

*****

كان اسمه

من قبل أن يرتد عن شريعة الاسلام

محمدا.. وصار أبراهام

*****

كان اسمه سيدنا الشيخ

وكان دائم الصلاة والصيام

وكان في جبينه علامة

من كثرة الركوع والقيام

وكان كالأطفال يبكى

إن تذكر الرسول

أو جاء ذكر الله.. ذي الجلال والإكرام

*

كان تقيا.. ورعا

يخاف أن يدوس النمل

أو يروع الحمام

و كان أهل مصر يقصدونه

ليطرد الشيطان عن أولادهم

و يحمل الفول إلى صحونهم

و يحمل الطعمية

لكنه فاجأنا

يلبس في نيويورك جبة الحاخام

ويقرأ القرآن بالعبرية

و يرفع الآذان بالعبرية

و يهدم الملك الذي أسسه هشام

و يغرس الخنجر في صدر بني أمية

فكيف يا سيدنا الإمام؟

من أجل عبرانية عشقتها

ذبحت أولادك في الظلام

وأمهم بهية

ويا للعجب

*

كان اسمه عنترة

في سالف الزمان

ويدعي بأنه من تغلب

كان من قحطان

وأنه تعلم الدين على الشيخ أبي حنيفة

والشعر عن حسان

كان يقول أنه يؤمن بالحرية

والحب والإنسان

وأنه يعشق بنتا حلوة مثل القمر

يدعونها بهية

لكنه فاجأنا

من بعدما أعطاه عبد الناصر الأمان

فافترس الحرية

وافترس الإنسان

وطلق البنت التي يدعونـها بـهيـة

وحارب الأنصار والصحابة

وأرجع الأوثان

وارتد عن عبادة الله

إلى عبادة الشيطان

فكيف يا عنترة؟

أصبحت في جراحة صغيرة

حاييم.. أو ناتان

و كيف في جراحة صغيرة؟

أصبحت مخصيا من الخصيان

ويا للعجب

*

كان اسمه

في المتحف المصري أخناتون

سحنته سحنة أخناتون

جبهته جبهة أخناتون

لهجته لهجة أخناتون

وكان في أعماقه

أشياء من خوفو و فرعون

لكن عبد الناصر العظيم

ألبسه عباءة المأمون

فباعها

وأحرق العقال والكوفية

وأطلق النار من الخلف على ابن العاص

وأحرق الحنطة.. والغلال

والبيادر الخصيبة

وأحرق العروبة

فكيف زوجوك يا بهية؟

من ذلك المجنون

وكيف خدروك يا بهية؟

بالخمر

والحشيش

والأفيون

وكيف أرغموك يا بهية؟

أن تحملي الخمر إلى مليكهم داوود

وكيف علموك يا بهية؟

أن تقرأي التلمود

وتصبحي راقصة في حارة اليهود

و يا للعجب

*****

كان اسمه الفني

في مسارح المدينة

زوربا

وكان يعشق الظهور

وكان من أحلامه أن يصبح المطرب والعازف

والممثل المشهور

و كان يسمى نفسه

العزيز

والعظيم

والقوي

والعلي

والقدير

والمعصوم

والغفور

وصانع العبور

كان اشتراكيا

يعيش عيشة الأباطرة

ويعشق السلطان

وعنده مزرعة كبيرة.. كبيرة

تعرف باسم القاهرة

وعنده.. كل سرايات بني عثمان

كان (ترافولتا) عصره

في روعة الرقص

وفي أناقة الخطوات

وكان شعبيا بأمريكا

وكان كوكب الشاشات

فكيف يا محمد.. يا أنور السادات

من أجل عبرانية عشقتها

تغدر بالأحياء والأموات

وتدعي أن النبي مات

وكيف.. يا.. أنور المأساة

تصبح إسرائيل في طنطا

وفي بنها

وفي إيلات

ويا للعجب

*

يا مصر

يا قصيدة المياه، والجسور

والمآذن الوردية

يا زهرة اللوتس

يا كتابة زرقاء فاطمية

أيتها الصابرة، الصامتة

الطيبة، النقية

أيتها القاهرة، المقهورة

الضعيفة، القوية

يا من يداها ذهب

وصوتها حرير

ماذا جرى؟

من بعد عبد الناصر الكبير

من مسح الحنة عن يديك يا بهية؟

من سرق النجوم من ليل العيون السود؟

ماذا جرى لجيمك الملحنة؟

والعسل المسكوب

من لهجتك المصرية

ماذا جرى؟

للكعك.. والأطفال.. والموالد الشعبية

والحزن في الشوارع الخلفية

يا مصر

يا حبيبة ابن العاص

وعشقه الأول والأخير

لن يستطيع الرجل الصغير

أن يطفيء الشمس، وأن يزور القضية

فأنت مهما ضاقت الحياة

أو جاء كافور إلى الحكم، أو السادات

باقية في القلب يا بهية

باقية في القلب يا بهية

باقية فى القلب يا بهية

بلقيس

شكرا لكم..

شكرا لكم..

فحبيبتي قتلت.. وصار بوسعكم

أن تشربوا كأسا على قبر الشهيدة

وقصيدتي اغتيلت..

وهل من أمةٍ في الأرض..

-إلا نحن- نغتال القصيدة؟

*

بلقيس..

كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس.. كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشي..

ترافقها طواويس..

وتتبعها أيائل..

*****

بلقيس.. يا وجعي..

ويا وجعِ القصيدة حين تلمسها الأنامل

هل يا ترى..

من بعد شَعْرِكِ سوف ترتفع السنابل؟

*****

يا نينوى الخضراء..

يا غجريتي الشقراء..

يا أمواج دجلة..

تلبسُ في الربيعِ بساقِها

أحلى الخلاخل..

*

فتلوكِ يا بلقيسُ..

أيةُ أمة عربيةٍ..

تلكَ التي

تغتال أصوات البلابل؟

*

أين السموأل؟

والمهلهل؟

والغطاريف الأوائل؟

فقبائلٌ أكلتْ قبائل..

وثعالب قتلت ثعالب..

وعناكب قتلت عناكب..

*****

قسماً بعينيك اللتين إليهما..

تأوي ملايين الكواكب..

سأقول، يا قمري، عن العرب العجائب

فهل البطولة كذبةٌ عربيةٌ؟

أم مثلنا التاريخ كاذبْ؟.

*****

بلقيس

لا تتغيبي عني

فإن الشمـــس بعدكِ

لا تضيءُ على السَـــــــواحلْ..

*

سأقول في التحقيق:

إن اللصَّ يرتدي ثوب المقاتل

وأقول في التحقيق:

إن القائد الموهوب أصبح كالمقاول..

*

وأقول:

إن حكاية الإشعاع، أسخف نكتة قيلت..

فنحن قبيلة بين القبائل

هذا هو التاريخ.. يا بلقيس..

كيف يُفرق الإنسان..

ما بين الحدائق والمزابل

*

بلقيس..

أيتها الشهيدة.. والقصيدة..

والمطهرة النقية..

سبأ تفتش عن مليكتها

فردي للجماهير التحية..

*

يا أعظم الملكات..

يا امرأة تجسد كل أمجاد العصور السومرية

*****

بلقيس..

يا عصفورتي الأحلى..

ويا أيقونتي الأغلى

ويا دمعا تناثر فوق خد المجدلية

*****

أتراي ظلمتكِ إذ نقلتكِ

ذات يومٍ.. من ضفاف الأعظميَّة

بيروت.. تقتُلُ كلَّ يومٍ واحداً منا..

وتبحث كلَّ يومٍ عن ضحية

*****

والموتُ.. في فنجان قهوتنا..

وفي مفتاح شقتنا..

وفي أزهار شُرفتنا..

وفي ورق الجرائد..

والحروف الأبجدية.

*****

ها نحن.. يا بلقيس..

ندخل مرةً أخرى لعصر الجاهلية..

ها نحن ندخل في التوحش..

والتخلف.. والبشاعة.. والوضاعة..

ندخل مرةً أخرى.. عصور البربرية..

*

حيث الكتابةُ رحلةٌ

بين الشظيةِ.. والشظية

حيث اغتيال فرَاشةٍ في حقلها..

صار القضية..

*

هل تعرفون حبيبتي بلقيس؟

فهي أهم ما كتبوه في كتب الغرام

كانت مزيجاً رائعاً

بين القطيفة والرخامْ..

كان البنفسج بين عينيها

ينام ولا ينام..

*****

بلقيس..

يا عطرا بذاكرتي..

ويا قبراً يسافر في الغمام..

قتلوك، في بيروت، مثل أي غزالةٍ

من بعدما.. قتلوا الكلام..

بلقيسُ..

ليست هذه مرثيَّةً

لكنْ..

على العرب السلام

*****

بلقيس..

مشتاقون.. مشتاقون.. مشتاقون..

والبيتُ الصغير..

يسائل عن أميرته المعطَّرةِ الذيول

نصغي إلى الأخبار.. والأخبار غامضةٌ

ولا تروي فضول..

بلقيسُ..

مذبوحون حتى العظم..

والأولاد لا يدرون ما يجري..

ولا أدري أنا .. ماذا أقول؟

*

هل تقرعين الباب بعد دقائق؟

هل تخلعين المعطف الشتويَّ؟

هل تأتين باسمةً ..

وناضرةً ..

ومشرقةً كأزهار الحقول؟

*

بلقيس..

إن زُرُوعك الخضراء..

ما زالت على الحيطان باكيةً..

ووجهك لم يزل متنقلاً..

بين المرايا والستائر

حتى سجارتك التي أشعلتها..

لم تنطفئ..

ودخانها

ما زال يرفضُ أن يسافر

*

بلقيس..

مطعونون.. مطعونون في الأعماق..

والأحداق يسكنـها الذهول

بلقيس..

كيف أخذتِ أيامي.. وأحلامي..

وألغيتِ الحدائِقَ والفصول..

*****

يا زوجتي..

وحبيبتي.. وقصيدتي.. وضياء عيني..

قد كنتِ عصفوري الجميل..

فكيف هربتِ يا بلقيس مني؟..

*****

بلقيس..

هذا موعد الشاي العراقيِّ المعطَّرِ..

والمعتّق كالسلافة..

فمن الذي سيوزع الأقداحِ.. أيتها الزرافة؟

ومن الذي نقل الفرات لبيتنا..

وورود دجلة والرصافة؟

*****

بلقيس..

إن الحزن يثقبني..

وبيروت التي قتلتك.. لا تدري جريمتها

وبيروت التي عشقتك..

تجهل أنها قتلت عشيقتها..

وأطفأت القمر..

*

بلقيس..

يا بلقيس..

يا بلقيس..

كل غمامةٍ تبكي عليك..

فمن ترى يبكي عليًّا..

بلقيس.. كيف رحلت صامتةً

ولم تضعي يديك.. على يديًّا؟

*

بلقيس..

كيف تركتنا في الريح..

نرجفُ مثل أوراق الشجر؟

وتركتنا نحن الثلاثة ـ ضائعين

كريشة تحت المطر..

أتراك ما فكَّرت بي؟

وأنا الذي يحتاج حبك.. مثل (زينب) أو (عمر)

*****

بلقيس..

يا كنزاً خرافياً..

ويا رمحاً عراقياً..

وغابة خيزران..

يا من تحدَّيتِ النجومَ ترفعاً..

من أين جئت بكل هذا العنفوان؟

*****

بلقيس..

أيها الصديقة.. والرفيقة..

والرقيقة مثل زهرة أقحوان..

ضاقت بنا بيروت.. ضاق البحر..

ضاق بنا المكان..

بلقيس: ما أنت التي تتكررين..

فما لبلقيس اثنتان..

*

بلقيس..

تذبحني التفاصيل الصغيرة في علاقتنا..

وتجلدني الدقائق والثواني..

فلكل دبوسٍ صغيرٍ.. قصةٌ

ولكل عقد من عقودك قصّتان

*

حتى ملاقط شعرك الذهبيّ..

تغمرني، كعادتها، بأمطار الحنان

ويعرش الصوت العراقيّ الجميل..

على الستائر..

وعلى المقاعد..

والأواني..

*

ومن المرايا تطلعين..

من الخواتم تطلعين..

من القصائد تطلعين..

من الشموع..

من الكؤوس..

من النبيذ الأرجواني..

*

بلقيس.. يا بلقيس..

لو تدرين ما وجعِ المكان..

في كل ركنٍ.. أنت حائمةٌ كعصفورٍ..

وعابقةٌ كغابة بيلسان..

*

فهناك.. كنتِ تدخِّنين..

هناك.. كنتِ تطالعين..

هناك.. كنتِ كنخلةٍ تتمشَّطين..

وتدخلين على الضيوف..

كأنك السيف اليماني..

*

بلقيس..

أين زجاجة (الغيرلان)؟[70]

والولّاعة الزرقاء..

أين سيجارةُ الـ (كِنت) التي

ما فارقت شفتيك؟

أين (الهاشميُّ) مغنّياً..

فوق القوام المهرجان..

تتذكّر الأمشاط ماضيها..

فيكرج[71] دمعها..

هل يا ترى الأمشاط من أشواقها أيضا تعاني؟

---

[70] الغيرلان Guerlain : ماركة عطر شهيرة لليوم.

[71] كرج الدمع على الخد يعني ينساب الدمع على الخد بسهولة .. و بسرعة.

بلقيس: صعبٌ أن أهاجر من دمي..

وأنا المُحاصَرُ بين ألسنة اللهيب..

وبين ألسنة الدخان..

*

بلقيس: أيتها الأميرة

ها أنت تحترقين.. في حرب العشيرة والعشيرة

ماذا سأكتب عن رحيل مليكتي؟

إن الكلام فضيحتي..

*

ها نحن نبحث بين أكوام الضحايا..

عن نجمةٍ سقطت..

وعن جسدٍ تناثر كالمرايا..

ها نحن نسأل يا حبيبة..

إن كان هذا القبرُ قبرك أنت

أم قبرَ العروبة..

*****

بلقيس..

يا صفصافةً أرخت ضفائرها عليَّ..

ويا زرافة كبرياء..

بلقيس:

إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عربٌ..

ويأكل لحمنا عربٌ..

ويبقُر بطننا عربٌ..

ويفتح قبرنا عربٌ..

فكيف نفرّ من هذا القضاء؟

فالخنجر العربيُّ.. ليس يقيم فرقا

بين أعناق الرجال..

وبين أعناق النساء..

*

بلقيس:

إن هم فجروك.. فعندنا

كل الجنائز تبتدي في كربلاء..

وتنتهي في كربلاء..

*

لن أقرأ التاريخ بعد اليوم

إنَّ أصابعي اشتعلت..

وأثوابي تغطيها الدماء..

ها نحن ندخل عصرنا الحجريَّ..

نرجعُ كلَّ يومٍ، ألف عام للوراء..

*

البحر في بيروت..

بعد رحيل عينيك استقال..

والشعر.. يسأل عن قصيدته

التي لم تكتمل كلماتها..

ولا أحدٌ.. يجيب على السؤال

*

الحزن يا بلقيس..

يعصر مهجتي كالبرتقالة..

الآن.. أعرف مأزق الكلمات

أعرف ورطة اللغة المحالة..

وأنا الذي اخترع الرسائل..

لست أدري.. كيف أبتدئ الرسالة..

*

السيف يدخل لحم خاصرتي

وخاصرة العبارة..

كلٌّ الحضارة، أنت يا بلقيس، والأنثى حضارة..

بلقيس: أنت بشارتي الكبرى..

فمن سرق البشارة؟

أنت الكتابة قبلما كانت كتابة..

أنت الجزيرة والمنارة..

*****

بلقيس:

يا قمري الذي طمروه ما بين الحجارة..

الآن ترتفع الستارة..

الآن ترتفع الستارة..

*****

سأقول في التحقيق..

إني أعرف الأسماء.. والأشياء.. والسجناء..

والشهداء.. والفقراء.. والمستضعفين..

وأقول إني أعرف السيَّاف قاتل زوجتي..

ووجوه كل المخبرين..

وأقول: إن عفافنا عهرٌ..

وتقوانا قذارة..

وأقول: إنَّ نضالنا كذبٌ

وأن لا فرق..

ما بين السياسة والدعارة!!

*

سأقول في التحقيق:

إني قد عرفت القاتلين

وأقول:

إنَّ زماننا العربيّ مختصٌ بذبح الياسمين

وبقتل كل الأنبياء..

وقتل كلِّ المرسلين..

*****

حتى العيون الخضر..

يأكلها العرب

حتى الضفائر.. والخواتم

والأساور.. والمرايا.. واللُّعب..

حتى النجوم تخاف من وطني..

ولا أدري السبب..

*

حتى الطيور تفرُّ من وطني..

ولا أدري السبب..

حتى الكواكب.. والمراكب.. والسحب

حتى الدفاتر.. والكتب..

وجميع أشياء الجمال..

جميعها.. ضدَّ العرب..

*

لمَّا تناثر جسمك الضوئي

يا بلقيس،

لؤلؤةً كريمة

فكَّرت: هل قتل النساء هوايةٌ عربيةٌ

أم أننا في الأصل، محترفو جريمة؟

*

بلقيس..

يا فرسي الجميلة.. إنني

من كلّ تاريخي خجول

هذي بلادٌ يقتلون بها الخيول..

هذي بلادٌ يقتلون بها الخيول..

*

من يوم أن نحروك..

يا بلقيس..

يا أحلى وطن..

لا يعرف الإنسان كيف يعيش في هذا الوطن..

لا يعرف الإنسان كيف يموتُ في هذا الوطن..

*

ما زلت أدفع من دمي..

أعلى جزاء

كي أسعد الدنيا.. ولكن السماء

شاءت بأن أبقى وحيداً..

مثل أوراق الشتاء

*

هل يولد الشعراء من رحم الشقاء؟

وهل القصيدة طعنةٌ

في القلب.. ليس لها شفاء؟

أم أنني وحدي الذي

عيناه تختصران تاريخ البكاء؟

*

سأقول في التحقيق:

كيف غزالتي ماتت بسيف أبي لهب

كيف اللصوص من الخليج إلى المحيط

يدمرون.. ويحرقون..

وينهبون.. ويرتشون..

ويعتدون على النساء..

كما يريد أبو لهب..

*

كل الكلاب موظفون..

ويأكلون..

ويسكرون..

على حساب أبي لهب..

*

لا قمحةٌ في الأرض..

تنبت دون رأي أبي لهب

لا طفل يولد عندنا

إلا وزارت أمه يوما..

فراش أبي لهب!!...

*

لا سجن يفتح..

دون رأي أبي لهب..

لا رأس يقطع

دون أمر أبي لهب..

*

سأقول في التحقيق:

كيف أميرتي اغتصبت

وكيف تقاسموا فيروز عينيها

وخاتم عرسها..

وأقول كيف تقاسموا الشَعر الذي

يجري كأنهار الذهب..

*****

سأقول في التحقيق:

كيف سطوا على آيات مصحفها الشريف

وأضرمو فيه اللهب..

سأقول كيف استنزفوا دمها..

وكيف استملكوا فمها..

فما تركوا به ورداً.. ولا تركوا عنب

*****

هل موت بلقيس..

هو النصر الوحيد

بكل تاريخ العرب؟؟...

*****

بلقيس..

يا معشوقتي حتى الثمالة..

الأنبياء الكاذبون..

يُقرفصون..

ويركبون على الشعوب

ولا رسالة..

*

لو أنهم حملوا إلينا..

من فلسطين الحزينة..

نجمةً..

أو برتقالة..

*

لو أنهم حملوا إلينا

من شواطئ غزَّةٍ

حجراً صغيراً

أو محارة..

*

لو أنـهم من ربعِ قرن حرَّروا..

زيتونـةً..

أو أرجعوا ليمونـةً

ومحوا عن التاريخ عاره

لشكرت من قتلوك.. يا بلقيس..

يا معبودتي حتى الثمالـة..

لكنـهم.. تركوا فلسطين

ليغتالوا غزالـة!!...

*

مـاذا يقول الشِعر، يا بلقيس..

فـي هذا الزمان؟

ماذا يقول الشعر؟

في العصر الشعوبيِّ..

المجوسيِّ..

الجبان..

*

والعالم العربي..

مسحوقٌ.. ومقموعٌ..

ومقطوع اللسان..

نحن الجريمة في تفوقها

فما (العقد الفريد).. وما (الأغاني)؟؟

*

أخذوك أيتها الحبيبة من يدي..

أخذوا القصيدة من فمي..

أخذو الكتابة.. والقراءة..

والطفولة.. والأماني

*

بلقيس.. يا بلقيس..

يا دمعاً ينقّط فوق أهداب الكمان..

علَّمت من قتلوك أسرار الهوى

لكنّهم.. قبل انتهاء الشوط

قد قتلوا حصاني

*

بلقيس:

أسألك السماح، فربَّما

كانت حياتك فديةً لحياتي..

إنّي لأعرف جيّداً..

أن الذين تورطوا في القتل، كان مرادهم

أن يقتلوا كلماتي!!!

*

نامي بحفظ الله.. أيَّتها الجميلة

فالشِعر بعدك مستحيلٌ..

والأنوثة مستحيلة

*

ستظلُّ أجيالٌ من الأطفال..

تسأل عن ضفائرك الطويلة..

وتظلُّ أجيالٌ من العشاق

تقرأ عنك.. أيتها المعلِّمة الأصيلة...

*

وسيعرف الأعراب يوماً..

أنهم قتلوا الرسولة..

قتلوا الرسولة..

ق.. ت.. ل.. و.. ا

ال.. ر.. س.. و.. ل.. ة

1982

الفهرس